المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

من المسرح العالمي

خيانة أينشتين

تأليف: إيريك إيمانويل شميث
ترجمة: أ. سعيد بوكرامي
مراجعة: أ.د. نادية كامل
تقديم ودراسة نقدية: أ. د. محمد شيحة

العدد 388
مايو 2017

تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

خيانة أينشتين

تأليف: **إيريك إيمانويل شميث**

ترجمة: **أ. سعيد بوكرامي**

مراجعة: **أ.د. نادية كامل**

تقديم ودراسة نقدية: **أ. د. محمد شيحة**

من

المسرح العالمي

تصدر كل شهرين عن

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

دولة الكويت

المشرف العام:

م. علي حسين اليوحة

مستشار التحرير:

أ.د. حسين عبدالله المسلم

هيئة التحرير:

أ. عبدالعزيز سعود المرزوق

«مدير إدارة النشر والتوزيع»

د. إلهام عبدالله الشلال

د. عادل سالم المالك

د. علي عبدالله حيدر

د. جاسم الغيث

مدير التحرير: أ. بشرى فايز الحربي

سكرتير التحرير: أ. جمانة حسين محميد

almasrahalaalami@yahoo.com

almasrahalaalami@gmail.com

www.kuwaitculture.org

خيانة أينشتين

ISBN ٩٧٨- ٩٩٩٠٦-٠-٥٤٨-٨

رقم الإيداع: ٢٠١٧/٠٣٤٦

ERIC-EMMANUEL
SCHMITT

La trahison d'Einstein

Albin Michel

خيانة أينشتين

تأليف: **إيريك إيمانويل شميث**

ترجمة: **أ. سعيد بوكرامي**

مراجعة: **أ.د. نادية كامل**

دراسة نقدية: **أ.د. محمد شيحة**

الفهرس

م	الموضوع	الصفحة
١-	مقدمة: المسؤولية الاجتماعية والأخلاقية للعلماء تقديم أ. د. محمد شيحة	٧
٢-	مقدمة المترجم بقلم أ. سعيد بوكرامي	٣١
٣-	الشخصيات	٣٩
٤-	المسرحية	٤١
٥-	دراسة نقدية: أ. د. محمد شيحة أنا.. تراجيديا النوايا الحسنة!!	١٢٧

مقدمة

المسؤولية الاجتماعية والأخلاقية للعلماء

تقديم أ.د. محمد شيحة

التاريخ؟ من يعرفه؟! إن هو إلا مسمار أشجب فيه لوحاتي، قفزت هذه العبارة إلى ذهني عند القراءة الأولى لعنوان المسرحية التي بين أيدينا «خيانة أينشتين» العالم الفيزيائي الحاصل على جائزة نوبل سنة ١٩٢٢ وقد استحوذت شخصيته على فكر «شميث» فأراد أن يقدمها لقارئه وبطريقته الخاصة، أقرب التوقعات أن يصبح مصدره الأساسي هو التاريخ، وسيرة هذا العالم الذي عاش حياة حافلة بالوقائع والأحداث التي شهدت من خلالها البشرية حربين عالميتين وكان لأبحاثه العملية دور كبير في إثارة الجدل في ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين حول مسؤولية رجل العلم المباشرة أو غير المباشرة عما حاق بالبشرية من دمار بسبب التوصل إلى صناعة القنبلة الذرية استنادًا إلى نتائج أبحاثه وأبحاث غيره من العلماء.

وصاحب الصيحة المذكورة بعاليه هو الأديب الفرنسي «دوماس الأب» وقد أراد بها التحقق من وقائع التاريخ في إبداعه استنادًا إلى الرأي القائل بأن باستطاعة الأديب أو الشاعر أن يتخير من التاريخ ما شاء من تجارب

يجعلها أدبا فيخرجها بذلك من الخصوص إلى العموم وفقا لما أشار إليه «أرسطو» فهو لا يصور تجربة هذا الرجل أو ذاك كما وقعت حرفيا في التاريخ، وإنما يصور تجربة كل رجل تحيط به الظروف نفسها التي أحاطت بهذا الرجل التاريخي أو ذاك بحيث تصبح قصة إنسانية عامة يستطيع كل فرد أن يرى فيها نفسه أو نفس غيره وذلك دون تقيد بجزئيات التاريخ مع الاكتفاء بالخطوط العامة أو القيم الإنسانية الثابتة كما يقول «محمد مندور»، وكل ذلك مشروط بأن يكون من المعقول صدور مثل هذا الفعل أو ذاك عن الشخصية التي يتحدث عنها ويحدد خصائصها الروحية ودوافعها الأخلاقية أو الاجتماعية»[1].

ومن يعرف أسلوب «شميث» وطريقته في الكتابة يدرك أنه لن يسعى إلى عرض الحقيقة التاريخية المجردة، بل سيختار من أحداث ووقائع التاريخ ما يراه مواتيًا لعلاج مشكلة إنسانية من مشاكل العصر وذلك استنادًا إلى بعض المصادر التي تقدم له المادة الخام التي يستطيع أن يتصرف فيها بحرية وفقًا لهدفه وأصول فنه.

ويصدق «حدس» المتلقي للمسرحية عندما يكتشف منذ اللوحة الأولى أنها بعيدة تمامًا عن أن تكون «مسرحية تاريخية» بشكلها المعروف، كما أنها تبتعد كثيرًا عن المعالجات المختلفة التي صور من خلالها كتاب المسرح وخاصة الألمان قضية المسؤولية الاجتماعية للعلماء في عصر ما بعد الحرب العالمية الثانية وما قبله، وقد كانت مسرحية «برتولت برشت» حياة جاليليو النموذج الذي عالج من خلاله هذه القضية خاصة وأن هناك ثلاث

صياغات كتبها لهذه المسرحية الأولى، الدنماركية ٣٨/ ١٩٣٩، والثانية الأميركية والتي كتبها سنة ١٩٤٧ والثالثة البرلينية ٥٥/ ١٩٥٦.

وتتضح أهمية «جاليليو» (١٥٦٤ - ١٦٤٢) كشخصية تاريخية في أنه قد مهد الطريق لبداية عصر جديد باكتشافه «التلسكوب» منذ استطاع أن يبرهن على صحة نظرية «كوبرنيكوس» (١٤٧٣ - ١٥٤٣) التي يذهب فيها إلى أن الشمس هي محور النظام الكوني وأن الأرض هي التي تتحرك مخالفًا بذلك تعاليم أرسطو (٣٨٤ - ٣٢٢ ق. م) بأن الأرض هي محور الكون، كما تظهر أهمية شخصية «جاليليو» في اتخاذها أساسا للدفاع عن استقلال البحث العلمي في مواجهة الكنيسة، بل إنها تتحول إلى رمز أسطوري لبطل يعبر عن الكفاح أو الصراع بين ظلام الغباء المتمثل في العصور الوسطى وبين نور العقل متمثلا في العصر الجديد[٢].

وقد قيل أن سبب إقدام برشت على تكرار معالجة الموضوع نفسه أن الأنباء كانت قد أشارت إلى نجاح العالم الألماني «أوتوهان» في تفجير ذرة اليورانيوم، مما أدى إلى دخول البشرية في عصر جديد هو عصر الذرة، وهذا هو ما جعل بريشت يسترجع العصر الجديد الذي أدت إليه اكتشافات «جاليليو» في العلوم الفيزيائية وعلم الفلك في القرن السابع عشر[٣]، وذلك للاستفادة من هذه الشخصية من أجل إلقاء المزيد من الضوء على الحاضر وتحويل قضيته إلى بُعد أشمل هو «مسؤولية العالم في عصر الذرة، فالمسودة الأولى للمسرحية والتي يطلق عليها «أورجاليليو» بدا فيها أن محور اهتمام برشت كان ينصب على إقامة رابطة بين الثورة العلمية

الكبرى التي كان يعيش في ظلها، وبين الثورة الأخرى التي أدت إلى ولادة العلم الحديث وهي ثورة «جاليليو»، وفي الوقت الذي كان البعض يرى فيه أن عدول «جاليليو» عن آرائه تحت تأثير ما تعرض له على يد محاكم التفتيش من تهديد بتعذيبه وتكفيره مبررًا باعتباره الوسيلة الوحيدة التي تمكنه من الانتصار على السلطة في عصره ممثلة في الكنيسة، كان بريشت يرى أن ذلك النكوص سنة ١٦٣٣ يشكل هزيمة كبيرة أدت إلى حدوث انفصام خطير بين العلم والمجتمع الإنساني في السنوات التالية، ورغم ذلك فإن تخليه عن آرائه هذه تلته تلك العبارة الشهيرة التي قالها «جاليليو» «ومع هذا فإنها تدور» !

إن بريشت يطرح على نفسه هنا سؤالا: ما هي مسؤولية المثقف في مواجهة الإرهاب؟ والجواب: إن عليه أن ينشر الحقيقة، ولكن كيف يمكن إيصال الحقيقة في وضع مشابه؟ والجواب: بأساليب سرية [٤].

ويبدو أن بريشت كان يضع نصب عينيه وهو يفكر في محاولة نسج سمات عالم ثوري بطل تلك الصعوبات الخمس أمام قول الحقيقة والتي ذكر فيها أن الصعوبة الأولى هي الشجاعة التى يتطلبها قول الحقيقة، والثانية هي البصيرة اللازمة لإدراكها، والثالثة هي القدرة على تحويلها إلى سلاح، والرابعة هي البحث عن الدعاة المناسبين لها والخامسة هي البحث عن الوسائل الملائمة للدعاية لهذه الحقيقة [٥].

تلك الصعوبات نجح المؤلف نفسه في التغلب عليها على مستوى الفكر والإبداع نظريًا وعمليًا.. لقد كان بريشت يخطط في بداية الثلاثينيات من

القرن العشرين بالاشتراك مع غيره من المؤلفين من أمثال «فويست فاجنر، أرنست توللر، هاينريش مان» للكتابة عن القضايا الكبرى لشخصيات مؤثرة في تاريخ البشرية أمثال «سقراط»، «المسيح» سافونا رولا، لوثر، ماريا ستيوارت، جيوردانو برنو، جاليليو [٦].

وعندما اختار «جاليليو» التنكر لآرائه بسبب خوفه من الموت والتعذيب فُسر ذلك الأمر على أنه خيانة لمهنته أظهرته بمظهر الكاذب، إلا أن ذلك قد أعانه من ناحية أخرى على الاستمرار في أبحاثه وإنجاز محاوراته وتهريبها عن طريق تلميذه «أندريا» باستخدام الحيلة عن طريق الحدود إلى هولندا أي أن نكرانه قد أتاح له خلق عمل له أهمية مركزية، وهذا يعني في النهاية أنه قد تصرف بشكل حكيم[٧] وفق منطق الماضي التاريخي للشخصية.

أما المعالجة الثانية فقد أنجزها بريشت في ظل الأثر السيئ الذي نتج عن ضرب «هيروشيما وناجازاكي» بالقنبلة الذرية بفعل تحول نتائج الأبحاث العلمية إلى آفة رهيبة في يد السلطة الحاكمة إذ أصبحت أداة لتدمير البشرية كأثر من آثار تردي المفاهيم السياسية [٨].

وقد أدت تلك الأحداث إلى قيامه بإجراء بعض التعديلات المحددة في بعض المشاهد وإحداث تعديل جوهري في نهاية المسرحية إذ يصبح تنكر «جاليليو» لآرائه نوعًا من «الخيانة الاجتماعية» حيث يقول لتلميذه في نهاية المسرحية.

«لقد توصلت إلى رأي بأنني لم أكن أبدًا في خطر حقيقي فقد كنت لبضع

سنوات في مثل قوة السلطة، ولكن أسلمت علمي إليها لكي يستخدموه كما هو أو يسيئوا استخدامه حسبما يتراءى لهم، لقد خنت مهنتي، إن من يفعل ما فعلت لا يجب أن يوضع في مصاف العلماء» [٩].

لم تكن شخصية «جاليليو» فقط هي التي لفتت انتباه برتولت بريشت، فقد اهتم بشخصيتي «بروميثيوس، ألبرت أينشتين» ففي عام ٤٠/ ١٩٤١ خطط لكتابة مسرحية بطلها تلك الشخصية الأسطورية «حامل النار» وهو يجعل من «بروميثيوس» واحدًا من علماء الذرة المعاصرين الذين وضعوا علمهم في خدمة تلك الآلهة غير الحكيمة والشريرة، لقد عاقبته الآلهة عندما أراد أن يمنح سواد الناس المكاسب أو الانتصارات التي حققها استخدام النار والتي تحولت من وسيلة تعين على تحقيق الخير للبشرية إلى وسيلة من وسائل الضغط عليها، أما «ألبرت أينشتين» فقد كاد أن يصبح موضوعًا لمسرحية بعنوان «حياة أينشتين» على غرار مسرحية «حياة جاليليو» وقد أراد بريشت بعد موت ذلك العالم في أبريل سنة ١٩٥٥ تطوير موضوعه انطلاقًا من النقطة الأساسية التي تشغله في هذا الصدد وهي إساءة استخدام نتائج البحث العلمي وتسخيرها لصناعة أسلحة مثل «القنبلة الذرية» والتي تؤدي إلى دمار البشرية [١٠]، خاصة وأن «أينشتين» كان يجب عليه لأسباب سياسية أن يؤيد منذ عام ١٩٣٨ احتمالات تصنيع تلك القنبلة باعتبارها وسيلة من وسائل الضغط على ألمانيا النازية في ذلك الوقت [١١]، ولكن بريشت لم يقم بكتابة المسرحية ومات هو نفسه في العام التالي ١٩٥٦.

ويُلاحظ أنه قبل وبعد «هيروشيما» اهتم كثير من الأدباء ورجال المسرح

الألمان بهذا الموضوع، كما اهتمت الكثير من الكتابات النقدية بتتبع الموضوعات ذات الصلة به في الدراما الحديثة، والعمل التنبؤي الذي عالج موضوع استخدام الغاز في الحرب العالمية الأولى هو تلك الدراما التعبيرية التي كتبها «جيورج كايزر» (١٨٧٨ - ١٩٤٥) غاز واحد، غاز اثنين عام ١٨ - ١٩٢٠ والتي تصور مأساة «علماء البشرية» إذ توجه اتهامًا حادًا لعصر الآلة ولضياع شخصية الفرد واغترابه وأساليب الانتحار الجماعية وذلك كله بسبب إساءة استخدام المصادر الجديدة للطاقة.. «إن أمل «كايزر» في إنسان جديد كاد أن يبزغ بصعوبة من خلال شكه العميق» [١٢].

أما «ماكس فريش» فقد صاغ من خلال مسرحية «سور الصين» أمثولة أخلاقية وقد صدرت ٤٦ / ١٩٤٧ بعد فترة قصيرة من إلقاء «القنبلة الذرية» على اليابان، ثم أعاد صياغتها مرة أخرى سنة ١٩٥٥ وقد انصب موضوعها على احتمالات التدمير الشامل باستخدام قنبلة «الكوبالت».

ويؤكد فريش في هذه المسرحية أن التدمير الكامل للبشرية لم يعد مشكلة تكنولوجية أو فنية وأن الواجب الأخلاقي تجاه البشرية لم يعد من الممكن أن يظل قائمًا على النحو القديم الذي كان ينحصر في صنع التاريخ من خلال الحروب والتحصن الأخلاقي ضد نتائجها [١٣].

ويرى الناقد الألماني «فالتر هينك» أن تلك المسرحة تمثل جوابا عن المنعطف التاريخي المذهل والصدمة الكونية التي أحدثها الانفجار الأول للقنبلة الذرية يقول.. ابن اليوم «للمرة الأولى في تاريخ البشرية تقف أمام خيار أن تكون أو لا تكون».

أما المسرحية الملحمية «الضوء البارد» والتي كتبها «كارل زكماير» سنة ١٩٥٥ فيتناول فيها موضوع العالم الطبيعي الذري الذي يتحول إلى «خائن» وينطلق الحدث فيها من عام ١٩٣٩ حتى عام ١٩٥٠ ويعتمد المؤلف في رسم ملامح الشخصية الرئيسية فيها على شخصية «كلاوس فوكس» عالم الذرة الألماني الذي تجنس بالجنسية البريطانية واشتغل بالجاسوسية في بريطانيا لحساب الاتحاد السوفييتي. وإذا كانت هذه المسرحية لم تثر إلى الرعب الذي سببته القنبلة الملقاة على اليابان، فذلك لأن المؤلف قد اهتم بصفة خاصة بإلقاء الضوء على ما يعتمل في ضمير هذا الرجل الذي باع روحه للشيطان، ولكنه على استعداد لأن يقُوم اعوجاجه عندما يتعامل مع إنسان مازال محتفظًا بنزاهته الأخلاقية.

أما مسرحية «رالف شنايدر» نصف الوثائقية «قضية ريتشارد ويفرلي» سنة ١٩٦٣ فتعالج قضية «الطيار» الذي ألقى القنبلة على «هيروشيما» والذي يُسأل مسؤولية شخصية عن ذلك العمل الإجرامي، ولكنها أقل قدرًا من تلك المسؤولية التي تقع على عاتق المجتمع الذي يعمل على تلافي أي جدل حول المسؤولية الجماعية بزعم أن الطيار مريض عقليًا! [١٤] .

وقد اهتم الكاتب المسرحي السويسري «فريدريش دورينمات» بقضية المسؤولية الاجتماعية لرجل العلم في مسرحيته علماء الطبيعة سنة ١٩٦٢، وقد عالج موضوعه في إطار بوليسي كوميدي يصل إلى درجة «الجروتسك» قاصدًا بذلك أن يقدم مسرحية يعارض بها مسرحية «حياة جاليليو» لبريشت.

وكان الباحث «روبرت يونج» قد تعرض سنة ١٩٥٦ لتاريخ «علماء الذرة» وأعمالهم في كتابه «أسطع من ألف شمس» وكان نقد «دروينمات» لهذا الكتاب أحد المفاتيح التي قادته لكتابة هذه المسرحية، وبطل هذه المسرحية عالم فيزيائي «موبيوس» اخترع «دورينمات» أسماه اختراعًا وهو يقيم في «مصحة عقلية» تديرها الدكتورة «ماتيلدا فون إتساند»، ويقيم في هذه المصحة عالمان آخران من «علماء الطبيعة» أحدهما «كيلتون» وهو يدعى أنه «إسحق نيوتن» والثاني «أيسلر» ويدعى أنه «أينشتين» وهما يتجسسان لحساب نظامين سياسيين مختلفين، وقد أتوا جميعًا إلى هذا المكان باختيارهم لأسباب تختلف باختلاف دوافعهم.. المهم أن الثلاثة تظاهروا بالجنون وهم يدركون في النهاية أن علمهم قد أصبح مروعًا وأن أبحاثهم قد أصبحت محفوفة بالمخاطر وأن معارفهم قاتلة فيقرروا سحب أعمالهم والبقاء إلى الأبد في المصحة، ويعبر عن ذلك «موبيوس» بقوله «إما أن نبقى في مستشفى المجانين» وإما أن يصبح العالم كله مستشفى مجانين، وإما أن نطفئ أنفسنا في ذاكرة الناس أو أن تنطفئ البشرية.

وتنتهي المسرحية بمفاجأة أقل ما توصف به على لسان العلماء أنفسهم بأنها مهزلة أو مسخرة فقد كانت الدكتورة «ماتيلدا فون إتساند» تعلم عنهم كل شيء وقد قامت بتصوير مخطوطاتهم وأصبح الثلاثة ومعهم أسرارهم أسرى لها ويقع العالم كله بين يدي طبيبة «أمراض عقلية» مجنونة!.. تنتهي المسرحية إذن وقد عاد كل منهم مرغمًا على تمثل دور «المجنون».

وأهم المسرحيات التي تعالج هذا الموضوع من واقع الوثائق الخاصة

بلجنة الأمن القومي في الولايات المتحدة الأميركية هي مسرحية «قضية روبرت أوبنهايمر» للكاتب المسرحي الألماني «هاينر كبهارت» وسوف نقوم بالمقارنة بينها وبين مسرحية «خيانة أينشتين» في التحليل الفني المرفق لبيان مدى التقارب والتعارض بينهما في أساليب وأدوات المعالجة رغم تعرضها لنفس الموضوع أولهما جعل من «جوليوس روبرت أوبنهايمر» بطلا لمسرحيته الوثائقية، والثاني جعل «ألبرت أينشتين» بطلا أيضا، وقد احتار «شميث» أن يعتمد في معالجة موضوعه على الخيال والأحداث المؤلفة (المخترعة) رغم إشارته لعدد من الحقائق والأحداث التاريخية، وإلى بعض التواريخ المهمة لتلك الأحداث سنة ١٩٣٤، ١٩٣٩، ١٩٤٥ وما بعدها وهذا يخرج مسرحيته عن تصنيفها على أنها مسرحية تاريخية أو مسرحية وثائقية تسجيلية، ويجمع المسرحيتين أيضًا تعرضهما لموضوع الخيانة.. الخيانة الفكرية والخيانة الاجتماعية.

مسرح العصر العلمي بين الصدق الفني و الصدق التاريخي

لقد اختار «هاينر كيبهارت» أن يعالج موضوعه داخل إطار «المسرح الوثائقي» وهو مسرح سياسي في المقام الأول، وإحدى سمات «الدراما الوثائقية» التي كانت موضوع خلاف بين الكتاب والنقاد يتعلق بطبيعة هذا المسرح الذي يقوم على حقائق يمكن توثيقها وتسجيلها ويتوقف ذلك على درجة قابلية الموضوع والأحداث والشخصيات لذلك التوثيق، وهذا يتطلب التخلي عن الإيهام والخيال أو اختراع أحداث أو ابتكار شخصيات لا وجود لها إذا كنا نصر على حرفية التسجيل، بل ويجب بالإضافة إلى ذلك تدعيم

الأحداث بالمستندات والأدلة من دون مساس بمضمون المستند ويرى الأكاديمي الألماني «أرنولد بلومر» في أطروحته للدكتوراه «أن المسرحية التي تحوي مشاهد مخترعة يمكن أيضا أن تصنف على أنها «مسرح وثائقي» طالما أن المتلقي قد أحيط علمًا بذلك وبأن هذه المشاهد لم تستخدم لإعطائه وعودًا وهمية كاذبة بأن ما يقدم يعد تصويرًا أمينا للواقع، ويؤكد أن الجديد في «المسرح الوثائقي» في الستينيات ليس هو الإعراض عما هو افتراضي أو خيالي، وإنما يتمثل في الابتعاد العمدي عن الإيهام.

وقد تناول كتاب المسرح الوثائقي (التسجيلي) الحقائق بطرق مختلفة أدت إلى تصنيف هذه المسرحيات داخل أطر ثلاثة فهناك المسرحيات التسجيلية الخالصة والتي اتخذت من شكل المحاكمة أو التحقيق وسيلة أساسية لتنظم وترتيب المادة الموثقة المتاحة، وهناك فئة ثانية من المسرحيات يمكن أن نسميها «سيرة حياة تاريخية» وذلك عندما يكون تركيز الكاتب على إحدى الشخصيات المهمة والمؤثرة في الأحداث الكبرى، وهناك ثالثًا مسرحيات عديدة تستفيد من المادة الوثائقية وتوظفها في نسيج النص نفسه مع استخدام فقرات من المادة المتاحة.

وقد انتهى معظم النقاد الذين كتبوا عن عروض هذا المسرح، وكذلك الجانب الأكبر من الباحثين الذين شغلوا به إلى أن مجموعة الأدوات والأساليب والخصائص التكنيكية المرتبطة به هي التي تقودنا إلى مجموعة من المشاكل التي لا حل لها ومبعثها ذلك التناقض بين الحياد الوضعي / التحيز، التوثيق والتقريرية في مواجهة الإبداع الدرامي، مسرحة أحداث الزمن الحاضر

أو الماضي القريب/ المسرح الفني ودرجة التناسب بين تحقيق التوثيقية والخيال المبدع، ولكن ينبغي أن نلاحظ أن التوثيق يعني البرهنة أو الإثبات، ويعني أيضًا العرض الموضوعي ولكن قيامه على أساليب الاختيار الشخصي، ثم المونتاج قد يؤدي إلى حدوث نوع من التحيز المؤيد بالوثائق.

وهو مسرح ملتزم يواجه الواقع ويلتصق به وقد ساهم في انتشاره عدة عوامل أبرزها رغبة كتابه في البعد عن الأمثولة، كما أن سلسلة – المحاكمات التي تمت في الستينيات قد أدت إلى كشف الكثير من الحقائق عن فترة الحكم النازي يضاف إلى ذلك تأثير الانتشار العريض لوسائل الاتصال وخاصة التلفزيون الذي لعب دورًا مهمًا ساهم في التغلب على أحداث الماضي وتجاوزها بتقريره عن الأحداث ومعالجته لتلك التقارير بالشرح والتعليق، الأمر الذي شجع على الاتجاه إلى التوثيق تحت تأثير هذا الوسيط الجديد ولتوافر هذا الكم من الحقائق والمعلومات [١٥].

وبحثًا عن خصائص تميز المسرح الوثائقي عن غيره من أشكال المسرح التي تعنى بتوثيق حادثة ما ينبغي أن يؤخذ في الاعتبار ليس فقط العلاقة الجدلية بين الوثيقة التاريخية وبين وضعها موضع التنفيذ الجمالي، وإنما كيفية تحقيق هذه الوثيقة لوظيفتها على نحو صحيح ومجسد مع الحرص على أن تظل متمتعة بالموثوقية والمصداقية لا أن تكون مجرد رصد للأحداث والشخصيات التاريخية خاصة وأن القصد من هذا المسرح ليس مجرد أخذ أحداث من الماضي وإعادة إنتاجها، وإنما إصدار أحكام نقدية من منظور الواقع.

ويرى الناقد «كورت لوتار» أن مأزق المسرح الوثائقي ينحصر في أنه إما أن يكون مسرحًا يعالج موضوعات سياسية جافة ومملة، ولهذا يصبح ملعونًا ويتجنبه الجمهور لعدم تأثيره وإما أن يكون مؤثرًا لما يحمله مما لذ وطاب فيقبل عليه الجمهور إقبالا شديدًا ولكنه يصبح بلا أي تأثير سياسي ثوري [١٦].

ومن أوضح ما كتب في إزالة الالتباس الناتج عن التماس بين الدراما الوثائقية والتاريخ ما كتبه د. محمد عناني في افتتاحية مجلة المسرح والتي يشير فيها إلى أن «المسرح التاريخي» مسرح أولا، وتاريخ ثانيًا من حيث إن المؤلف يستقي مادته من التاريخ ويقوم بتوظيفها لأغراض المسرح، ويركز على أن أهم سمات هذا المسرح كما حددها النقاد تتمثل في أن كاتب المسرح التاريخي يخلق عالمًا خاصًا داخل المسرحية لا يقبل الإحالة إلى عالم الواقع إلا في حدود رؤيته الخاصة، ويفرض من الأبعاد على شخوصه ما يجعلها تخضع لرؤيته الفنية، لا للصدق التاريخي أما المسرح التسجيلي فهو يحيل المتفرج إلى التاريخ الحقيقي بأبعاده الحقيقية وثوابته ومعنى ذلك أن هذا الكاتب يخضع لما يخضع له المؤرخ وبالتالي يكون مقصده دائمًا هو الصدق التاريخي لا الدراما[١٧].

وترى «د. نهاد صليحة» أن المنهج الذي يتبعه أي كاتب يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالهدف، وأن هذا الهدف إذا كان سياسيًا أو مرتبطًا بموقف سياسي ما فإن المعالجة تنتمي إلى المسرح التسجيلي الوثائقي باعتباره أحد أشكال المسرح التاريخي، كما ترى أن الكاتب الذي يتعامل مع معنى إنساني عام

ويسعى إلى صياغة أحداث تاريخية فإنه يعطي لنفسه حرية في التعامل مع أحداث التاريخ وتذهب إلى أنه لا يتعين علينا أن نحاسبه على الدقة التاريخية لأنه لا يعطينا درسًا في التاريخ [١٨] وأرى أن المأزق الأساسي للدراما الوثائقية يتمثل في الإحالة إلى التاريخي الحقيقي بأبعاده والحرص على مصداقية المادة المتضمنة للحقائق والمعلومات على حساب الدراما والمسرحيات الوثائقية الناجحة هي فقط التي يرجع نجاحها إلى براعة الكاتب في التعامل مع المادة مع احتفاظه بالعوامل المساعدة على خلق توتر درامي قوي يبتعد بعمله عن مجرد التسجيل الحرفي.

كان التسابق المحموم لصناعة أسلحة الدمار الأشد فتكًا بمثابة رد فعل فوري على التهديد المتوقع الذي روجت له الدعاية الألمانية للحكم النازي وقد انعكس ذلك على طبيعة الموضوعات المُعالجة.

موضوعات الدراما الوثائقية

من يتابع الموضوعات التي عالجتها الدراما الوثائقية الألمانية في الستينيات يجد أنها تنحصر في ستة موضوعات عامة، كانت المسرحيات المختلفة بمثابة تنويعات عليها وهذه الموضوعات هي:

- عنف وطغيان الرايخ الثالث.
- الحرب والأخلاق.
- مسؤولية العلماء في عصر الذرة.
- الكفاح ضد الإمبريالية.

- الدستور والديموقراطية في ألمانيا الغربية.

- احتمالات الثورة.

وسوف نتعرض فقط للموضوع الأول الذي يندرج تحته المسرحيات التالية:

النائب: رالف هوفوت سنة ١٩٦٣

وهي تصور موقف «البابا» مما جرى لليهود في ألمانيا فأحداثها تقوم على الادعاء بأن «الفاتيكان» كان يعلم بمطاردة وقتل اليهود أثناء حكم «الرايخ الثالث» وبأن «البابا» كان يمكنه أن ينقذ اليهود إذا ما قام بالاحتجاج علنًا على تلك الممارسات ولكنه لأسباب سياسية سكت عن إعلان احتجاجه.

«مسرحية» «جول براند» «قصة صفقة د: هاينر كيبهارت» سنة ١٩٦٥

وتهدف هذه المسرحية إلى كشف النقاب عن جرائم النازية وتعالج موضوع مبادلة اليهود مقابل أموال أو أشياء عينية، فبعد دخول القوات الألمانية «المجر» سنة ١٩٤٤ تم تكليف «براند فون أيسمان» أحد القادة النازيين بأن يعرض على الحلفاء أن تتم مبادلة اليهود المجريين بمجموعة من عربات النقل الكبرى، مليون يهودي مقابل عشرة آلاف سيارة، ولكن هذه المهمة تم تعويقها عن طريق مجموعة من العقبات البيروقراطية، ثم تم القبض على براند بمساعدة بعض العملاء البريطانيين.

مسرحية الأخ إيشمان: هاينر كيبهارت

وهي مأخوذة من واقع ملفات «الاستجواب» الذي أجراه «إفزليس» مع أدولف إيشمان قبل محاكمته في القدس، والذي بلغت صفحاته ٣٥٦٤ صفحة استقى منها «كيبهارت» أحداث مسرحيته وكان قد أعلن عن عزمه على كتابة هذه المسرحية سنة ١٩٦٧ ولكنه لم ينته من كتابتها سوى عام ١٩٨٢ قبل موته بأسابيع وتم عرضها بعد وفاته.

وبطل هذه المسرحية «إيشمان» إنسان عادي، موظف ليس عليه سوى الطاعة وتنفيذ الأوامر ومراعاة القوانين، ولا يشعر من جراء ذلك بأي شعور بالألم أو الذنب؛ لأنه قد أدى ما عليه من واجب، وبذلك أصبح من السهل أن يصبح أداة منفذة لآلية القتل الجماعي، وبذلك يصبح «أخًا» لكل المواطنين الألمان الذين على شاكلته، أي المطيعين.

وكيبهارت لا يندد في هذه المسرحية بالفاشية الألمانية فقط وإنما سعى إلى تأكيد أن طريقة التفكير التي أدت إلى قيام الفاشية لم تختف بعد وأن النموذج الذي قدمه لا يوجد في ألمانيا وحدها وإنما هو رمز للطاعة العمياء، وأن ما كان يحدث في الماضي أصبح يحدث في وقت كتابته للمسرحية وفي أكثر من مكان ولبيان ذلك حرص على تقديم مشاهد مما يحدث في أماكن أخرى من العالم فقدم مشهدًا يصف فيه مذابح الإسرائيليين والكتائبيين في مخيمات «صبرا وشاتيلا» سنة ١٩٨٢ مع التركيز على دور «شارون» في هذه الجرائم، ثم في مشهد آخر يبدو الطيارون الأميركيون الذين قصفوا «فيتنام» كمهندسين يقومون بالدور الذي تم تكليفهم به فقد أصبحت هذه

الطاعة العمياء في تنفيذ الأوامر دون إحساس نظرًا إلى أي عواقب أداة من الأدوات، التي كثر استخدامها في ذلك القرن. وهو بذلك يربط بين الماضي الذي تمت فيه انتهاكات وتجاوزات النازي وبين الحاضر الذي مازال تحدث فيه هذه التجاوزات نفسها.

لقد لقب «إيشمان» باسم «محاسب الموت» فقد اعتبر مسؤولا عن إرسال ملايين من اليهود إلى معسكرات الإبادة الألمانية وقد تتبع جهاز المخابرات الإسرائيلية تحركاته وتم اختطافه واقتياده إلى إسرائيل حيث مثل أمام المحاكم فحكم عليه بالموت وتم إعدامه.

مسرحية «التحقق» لـ بيتر فايس سنة ١٩٦٥

ويستخدم فيها «بيتر فايس» أسلوب المحاكمة كي يطرح قضية الـ «أوشفيتز» التي جرت وقائعها في «فرانكفورات» من ديسمبر ١٩٦٣ حتى أغسطس سنة ١٩٦٥ والتي امتدت جلسات محاكماتها ١٨٢ يوما، واتخذ منها «فايس» مادته لا بغرض إعادة تصوير ما جرى في المعسكرات واستعراض محاكمات المهتمين في هذا الصدد وإنما لطرح وجهة النظر المعاصرة في هذه الظاهرة، وقد ساهم تكنيك المحاكمة في الربط بين تلك الأحداث الماضية والعصر الحاضر، وقد حصل على هذه المادة الثرية من خلال متابعته للمحاكمة، وللمقالات والمواد الصحافية المنشورة في «الصحافة الألمانية».

ويشير «فايث فالنتين» في مجلده الضخم عن تاريخ الألمان إلى أنه مع عام ١٩٣٣ بدأت أفجع مرحلة عرفها التاريخ الألماني قاطبة فقد جعلت

منها «النازية» أكثر بلدان العالم إثارة للجدل والتساؤل والطريف أن كل المعالجات التي أشرنا إليها لم تحاول إخضاع شخصية «أدولف هتلر» (١٨٨٩ - ١٩٤٥) للتأمل أو التحليل أو حتى مجرد الإشارة إليه فقد كرهه معظم سكان العالم المتحضر وازداد سخطهم عليه من يوم لآخر، في حين أعجب به كثير من أبناء وطنه، وقد كشف مؤلفو سيرته النقاب عن الكثير من تفاصيل حياته فقد كان من أبناء الطبقة الوسطى الصغيرة ممن تحولوا إلى عمال كما كان تلميذًا فاشلا في إحدى مدارس «الفن المعماري»، وقد عمل بعد الحرب العالمية الأولى «مخبرًا» لدى المخابرات العسكرية وكان ذلك إيذانًا بدخوله عالم السياسة وبداية صعوده، وقد قامت «النازية» على أربعة عناصر فكرية أساسية مكنت من استمرار حكم النازيين لألمانيا اثني عشر عامًا، أولها مناهضة الليبرالية فتحت تأثير التصورات المختلفة الفلسفية لفكرة الإنسان فوق العادي الذي يتجاوز حدود بشرية الإنسان «ubermensch»، وعن الترويج لفكرة الفرد المختار والنخبة الجديرة بالحكم وغيرها من الأفكار التي كانت منتشرة قبل الحرب العالمية الأولى خصوصا أفكار «شوبنهاور» و «نيتشه»، وبعد هزيمة ألمانيا في تلك الحرب تبنى كتاب متخصصون في الفن والثقافة هذه الأفكار وحاولوا إعطاءها معنى سياسيًا عملي الطابع وترتب على ذلك التأكيد على فكرة أساسية، أن إنقاذ ألمانيا واستعادتها لمكانتها التي تستحقها لا يمكن أن يتحقق عن طريق الصيغة الدستورية الديموقراطية للدولة فما تحتاج إليه ألمانيا هم الرجال الأكفاء والأقوياء، وممثلو الطبقات، وقد روجت طبقة الحكام الجدد

لأفكار ترتبط بتأييد العنف والحرب ورفض التعاون المنسق بين الطبقات والفئات والأحزاب والأمم، وبالتالي رفض المبادئ الليبرالية.

وأبرز العناصر المكونة لتلك الأيديولوجية «النازية» هو مناهضة السامية فقد كان كره اليهود واحدًا من قناعات «هتلر» الذي آمن أن بإمكانه أن يجعل العالم أفضل كثيرًا مما هو عليه عن طريق إبادة اليهود الأشرار، ولم تقم «النازية» بملاحقة واضطهاد وقمع اليهود في ألمانيا الذين كانوا يعاملون على أنهم مواطنون من الدرجة الثانية، بل استهدفت القضاء على اليهودية في جميع أنحاء العالم، وقد تمثلت ذروة التدابير القانونية ضد اليهودية الألمانية في تجريد اليهود الألمان من الجنسية وحرمانهم من ممتلكاتهم وثرواتهم واقتيادهم لمعسكرات الاعتقال، ويمثل العنصر الثالث: مناهضة الأفكار والاتجاهات المسيحية ولا حاجة بنا إلى استعراض بعض الأفكار المتعلقة بهذا الموضوع الشائك؛ لأنه سوف يخرج بنا من دائرة الموضوع، أما العنصر الرابع من عناصر الأيديولوجية النازية فهو «مناهضة الماركسية» التي بدأت بتفنيد «الحزب النازي» للتسمية نفسها سواء عند الاشتراكيين الديموقراطيين الألمان أو فيما يتعلق بتطبيقها في «موسكو» نفسها (اللينينية أو الستالينية) فلم يكن هناك ماركسية أصيلة إلا في صدور بعض الاشتراكيين المستقلين وفي أيديولوجية الجناح المتشدد من الشيوعيين الألمان، وكانت الحركة الاشتراكية الديموقراطية هي بالذات التي نبهت الأذهان إلى ظهور واستفحال الحظر الشيوعي ولكن الاقتصاد الألماني الرافض لتلك الأفكار سار من سيئ إلى أسوأ تحت تأثير الكثير

من العوامل أبرزها فكرة التسلح فقد حولت «النازية» كل الاقتصاد الألماني باتجاه ولصالح الإعداد للحرب وفشلت كل محاولات الإصلاح أو التوفيق بين القضايا الاجتماعية ومصالح الاقتصاد الحر، وقد حول «الحزب» ألمانيا إلى معمل للأسلحة وإلى ثكنة عسكرية وأيد الحرب واعتبرها من الوجهة الاقتصادية البحتة الصفقة الأخيرة إذا قدر للحرب أن تصيب نجاحًا ويذهب «فايت فالنتين» إلى أن الماركسية «التي سعت «النازية» بكل ما أوتيت من قوة إلى القضاء عليها كانت محقة في نظراتها إلى نقطة أساسية جدًا: أن تكديس الإمكانيات الاقتصادية في يد حزب مهيمن على كل شيء كان من شأنه أن رفع وتيرة التوتر، بدلا من أن يخفضها وقاد ألمانيا بخطى متسارعة باتجاه الهاوية، إما إلى الحرب وإما إلى الثورة أو إلى كارثة جمعت الحرب والثورة معًا» [١٩].

كلمة أخيرة:

ربما يسأل البعض لماذا كل هذا العناء في استعراض جميع المعالجات الدرامية لقضية المسؤولية الاجتماعية والأخلاقية لرجل العلم وطرق وأساليب هذه المعالجات والحرص على استعراض المخاطر المترتبة على التسابق المحموم لصناعة الأسلحة الأشد فتكًا والمترتبة أيضا على إساءة استخدام نتائج البحث العلمي من أجل تحقيق ذلك ويضاف إلى ذلك ضرورة التذكير بمعاناة الإنسانية من جراء الحربين العالميتين الأولى والثانية، وقد كان ذلك الاستعراض ضروريا؛ لإبراز مدى ثراء ما يحويه التراث المسرحي العالمي من معالجات للموضوع وبيان مدى الفارق بين ما ورد بهذا التراث

وبين معالجة «إيريك إيمانويل شميث» للموضوع نفسه.

ومسرحية «خيانة أينشتين» تختلف شكلا ومضمونًا عن جميع المعالجات التي تعرضنا لها، كما أنها تختلف إلى حد كبير عن النمط السائد في المسرحيات الفرنسية المعاصرة والذي تتمثل خصائصه في ظهور أشكال مسرحية هجينة تتوالى فيها الحوارات المقتضية مع المونولوجات الفياضة، وانتشار السرد والنصوص المونولوجية بالإضافة إلى احتواء بعض العروض على عناصر طقسية وحرص بعضها الآخر على تحويل المتفرج من مراقب للحدث إلى مشارك فيه، بالإضافة إلى الهجوم على اللغة وإبراز عجز الكلمة وبيان عدم كفايتها كأدّاة اتصال.

لقد اختار «شميث» الشكل القصير من المسرحيات التي تقوم على عدد قليل من الشخصيات، والتي تعتمد على طرح حالة نفسية مع استخدام عنصر السرد إذا دعت الحالة إليه والاهتمام بالإرشادات المسرحية، كما اختار البعد عن التوثيق أو التاريخ أو التسجيل في معالجة موضوعه، فهل نجح في ذلك مثلما نجح في معالجات أخرى سابقة؟ (*)...

يشير «بيتر زوندي» في نهاية كتابه «نظرية الدراما الحديثة» سنة ١٩٥٦ تحت عنوان «بدلا من كلمة ختام إلى أنه، ليس لمسيرة الحركة الدرامية الحديثة فصل نهائي ولم يحن الوقت بعد لاستخلاص نتيجة أو لوضع معايير جديدة، أما أن تفرِض «نظرية الدراما» ما يجب أن تكون عليه الدراما الحديثة فليس هذا على الإطلاق من حقها، لقد آن فقط أن نفهم ما أبدع الآخرون وأن نحاول إيجاد صيغة نظرية لذلك تستهدف إبراز أشكال جديدة؛ لأن مسيرة الفن لا تحددها الأفكار بقدر ما يحددها تطور أشكالها..

(*) انظر التحليل الفني والنقدي المرفق بالنص

ويؤكد في نهاية كلمته الختامية أنه لكي يمكن إيجاد أسلوب جديد يجب البحث لا عن حل أزمة الشكل الدرامي فحَسب، بل من حل أزمة التقليدي المتوارث معه» [٢٠] .

يؤكد صدق حدسه ما ذكره «جان بيير زينجير» في كتابه قراءة المسرح المعاصر» عندما استعرض بعض النصوص غير المنظّرة ورأى أنها تدفع الباحث مع تنوعها وتعقدها إلى فحصها لا وفقًا لقواعد أو معايير محددة ثابتة وإنما عليه أن يلجأ إلى بعض الافتراضات التي تصلح أو تعتبر وسائل أو مداخل لقراءة هذه النصوص والتي تساعد على إنشاء المعنى وفي هذا الخصوص يقول «والحقيقة أن كل نص يمكن قراءته إذا نحن أعطيناه الوقت إذا كانت لدينا الوسائل لذلك ومعيار القرائية أو إمكانية القراءة وهو غير محسوس حتى لو كان منتشرًا، لا ينبغي أن يرتبط بحكم تقييمي حول «صفة النص أو الكيف، أي حول متعتنا كقراء في الدخول في علاقة مع المؤلف أثناء عملية القراءة» [٢١].

١. د. محمد شيحة

هوامش

1 – د. محمد مندور: الأب ومذاهبه، مكتبة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع بدون تاريخ ص 13، 14.

2 – Siehe: Uolker Steinbobk: Bertolt Brecht: Leben des Galilei. Mentor Verlag Munchen. 5 Auf. 1999 S. 42.

3 – د. أنيس فهمي أقلاديوس: من أعلام المسرح الألماني المعاصر، المجلس الأعلى للثقافة ب. ت ص 183.

4 – فريدريك أوين: برتولد بريشت: حياته وفنه، وعصره، ترجمة إبراهيم العربي، دار ابن خلدون، بيروت الطبعة الثانية سنة 1983، ص 266: ص 267.

5 – أمير إسكندر: حوار مع اليسار الأوروبي المعاصر، كتاب الهلال العدد 232 يونيه سنة 1970 ص 83.

6 – Siehe Herbert Knust: B ertalt: Lebens des Galilie. Moritz Verlag. Frankfurt am main 6 Auf. 16F.

7 – فريدريك أوين مرجع سابق ص 273 S 14 :siehe: Herbert Knust.

8 – كورت روتمان: تاريخ الأدب الألماني، ترجمة سليمان عواد. منشورات عويدات بيروت باريس، سنة 1989، ص 139.

9 – برتولت برشت: حياة جاليليو، ترجمة بكر الشرقاوي – سلسلة المسرح العالمي – دار الفارابي – بيروت 1981 – ص182 – ص183.

10– Siehe: Werner Zimmermann. Bertolt Brecht. Leben des Galilei. Dramatik der Wieder Spruche. Munchen. wien. Zurich. 1985 s. 109

11– Klaus. Uolker: Brecht Kommentar zum Dramatischen Werk. Mitarb. Hans – Jurgen Pullen Winkler Verlag. Munchen 1983 S. 191.

12– Herbert knust: Ebenda s. 64

13– Herbert. Kmust: s. 64

14– Herbert. Knust s. 65

15 – انظر: مقدمة د. مصطفى ماهر لمسرحية "قضية روبرت أوبنهايمر، ترجمة د. عبد السلام إسماعيل، وزارة الإعلام، الكويت، من المسرح العالمي العدد 254 نوفمبر سنة 1991.

16 - Blumer. Arnold: Das dokumentarische Theater der sechzigen Jahre in der Bundesrepublik deutschland 1977 s. 29.

17 - د. محمد عناني: افتتاحية مجلة - المسرح العدد 63 فبراير سنة 1994.

18 - د. نهاد صليحة: مجلة المسرح فبراير سنة 1994 ، ص 3.

19 - فايت فالنتين: تاريخ الألمان، ترجمة أحمد حيدر، دار الأبجدية للنشر، دمشق سنة 1994، ص 438 حتى ص 445.

20 - بيتر زوندي: نظرية الدراما الحديثة، ترجمة أحمد حيدر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق سنة 1977، ص 185.

21 - جان بيير زينجير: قراءة المسرح المعاصر، ترجمة د. حمادة إبراهيم، إصدارات مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي، وزارة الثقافة، الدورة 16 ص 33.

مقدمة المترجم

بقلم: أ. سعيد بوكرامي

مسرحية «خيانة أينشتين» التي نقدمها للقارئ العربي، مسرحية عن السلام والتسامح والقيم الإنسانية السامية، في زمن العنف والقيم الظلامية. من تأليف الكاتب الفرنسي إيريك إمانويل شميث الذي سبق أن ترجمنا له ضمن سلسلة المسرح العالمي مسرحية «فندق العالمين».

تجري أطوار مسرحية إيريك إمانويل شميث الجديدة الصادرة عن دار ألبان ميشيل بباريس ما بين مرحلة متوترة ومشحونة تتأطر بين ١٩٣٤و ١٩٣٩ و ١٩٤٥، وعلى ضفاف بحيرة في ولاية «نيو جيرسي» ، حيث كان يعيش أينشتين في برنستون. سيلتقي هذا الأخير بمتشرد، فينخرطان معا في محاورة عميقة عن جدوى الحروب وحماقات الإنسان المتغطرس ونتائج الصراعات الدموية. صداقة حميمة ستجمعهما يتخللها نقاش وتبادل للآراء بين رجل حكيم ورجل بلا مأوى.

في ١٩٣٩ سيوجه أينشتين رسالته الشهيرة إلى روزفلت يبلغه فيها أن النازيين يسعون لامتلاك السلاح النووي انطلاقا من اكتشافاته العلمية. حينها سيطلق روزفلت «مشروع مانهاتن» الذي أدى إلى اختراع القنبلة التي ستدمر فيما بعد مدينتي هيروشيما وناكازاكي.

هذه الحادثة التراجيدية ستعذب أينشتين المسالم والداعي إلى نزع السلاح وتفادي كوارث نووية قد تؤدي إلى هلاك الحياة وانقراض الكائنات. وعلى إثر ذلك سيصبح أينشتين متهما بلعب دور أساسي في الصراع حول

التسلح آنذاك بين الولايات المتحدة وألمانيا وروسيا، التي تعد قنبلتها النووية الأولى . ونظرا إلى مواقفه الرافضة للتسلح ستعتبر أميركا أينشتين طوباويا خطيرا وربما خائنا لهذا ستخضعه لمراقبة دقيقة من طرف مكتب التحقيقات الفيدرالي من دون أن تجرؤ على طرده. سيعتبر أينشتين نفسه مسؤولا عما حدث في اليابان وما قد يحدث في أمكنة أخرى، لهذا سيدعو بشراسة إلى سلام عالمي.

هذا الكتاب المسرحي، ليس كتابا عن العلم والفيزياء والنظرية النسبية هو ببساطة كتاب عن إنسان أحدث ثورة في القرن العشرين بنظريته الفيزيائية ذات المعادلة الشهيرة $E = MC2$ وعن شكه في هويته المشؤومة ومخاوفه من اندلاع حروب مدمرة جديدة وإنسانيته المفرطة التي دفعته إلى التخلي عن مجده وأحلامه لصالح خلق تحالف عالمي ضد أسلحة الدمار الشامل... ومن خلال حوار بين ألبرت أينشتين والمتشرد ستتخلله مواقف عاصفة ومأساوية، لكن أيضا جلسات شاعرية يتحدثان خلالها عن المطر والسماء والنجوم والقمر بيد أن هذه الحلول في الطبيعة ما هو إلا تمجيد واحتفاء بالجمال المهدد بالدمار الوشيك، لهذا كان الحوار يتغلغل في كثير من المواقف إلى معالجة قضايا إنسانية مصيرية أكثر عمقا. مثل كيفية مجيء هتلر الى السلطة (في الواقع نحن في عشية الحرب العالمية الثانية) يعبر أينشتين عن شعوره بالقلق حول مصير أوروبا، يتحدث أيضا عن اضطراره للهجرة إلى برينستون بالولايات المتحدة، يتحدث أيضا عن مخاوفه من مكتب التحقيقات الفيدرالي الذي يشتبه في كونه جاسوسا

يعمل لصالح ألمانيا. والأهم من ذلك تساؤله الدائم هل يجب أن يقدم القنبلة النووية إلى الرئيس روزفلت؟

ثم موضوعات أخرى مازلنا نعيشها إلى يومنا مثل العنصرية والتمييز والوحشية البشرية التي نراها اليوم في مناطق عدة من العالم حروبا ومذابح وصراعات مأساوية.

هذه المسرحية القصيرة لها الفضل في وضع أينشتين في صلب التاريخ، مذكرة بدوره الأساسي في السياسة الأميركية، والشكوك التي ساورت الولايات المتحدة حول تعاون محتمل بينه وبين الاتحاد السوفييتي. كما تسلط المسرحية الضوء على رهاب الشك في الآخر وفي أفكار الأشخاص المختلفين والخارجين عن السياسة العمياء للأمن الداخلي. كان هذا الفكر المتصلب قد سيطر على الولايات المتحدة، بحيث إنها كانت تخشى منذ الثلاثينيات من المد الشيوعي أكثر من خشيتها من ألمانيا النازية.

لا يخلو هذا النص المسرحي من أفكار مثيرة للاهتمام، ولكنها على غير عادة شميث جاءت موجهة بديماغوجية صريحة وكليشيهات جاهزة مع بعض الإطناب. في مسرحيات سابقة كان شميث يمرر الرسائل بسلاسة ولطافة واستعارة بحيث لا يثقل كاهل القارئ أو المشاهد بالمعارف والمعلومات والتأويلات يترك الشخصيات تتحدث من مواقعها بتلقائية ومن دون توجيه وإملاءات فكرية.

ومع ذلك، فإن المسرحية قدمت ببساطة خلابة لا يجرؤ عليها إلا

شميث. شخصيات المسرحية هي: ألبرت أينشتين، المتشرد، ووكيل مكتب التحقيقات الفيدرالي. حوار أينشتين في مجمله خليط ذكي من اقتباسات للعالم الفيزيائي مزجت في البناء الدرامي للمسرحية. مما لا شك فيه أن أينشتين هو واحد من الرموز العظيمة في القرن العشرين. أسطورته تلخص عظمة ومأساة هذا القرن حيث ينتصر العلم والرعب معا. إن الأثر الذي تركه ألبرت أينشتين في الذاكرة الجماعية يتجاوز صورة العالم الذي غير تاريخ الفيزياء والنظريات الفيزيائية ونمط التفكير داخلها كما ترتبط اكتشافاته ارتباطا وثيقا بالعلم الحديث والوعي التاريخي الذي ساعد في تغيير جذري للثقافة الغربية ونظرتها للعلوم.

لا يقدم إمانويل شميث دراما تاريخية رغم أن مادته الأساسية هي التاريخ؛ أينشتين في المنفى بالولايات المتحدة، تاريخ القنبلة النووية، والمراقبة المستميتة لأينشتين من قبل مكتب التحقيقات الفيدرالي. هل هذا كل شيء ؟ هذه المعلومات يعرفها الجميع وما من داع لكتابة مسرحية من أجلها. يخيّب إيريك ايمانويل شميث ظننا، فقصة مسرحيته محض خيال محبوك بعناصر تاريخية الغاية منه إثارة أسئلة فلسفية كعادة شميث دائما. أينشتين مجرد ذريعة للحديث أولا عن سحر أسطورة لن تتكرر وثانيا لنقاش أسئلة جوهرية مثل لماذا عندما نريد أن نفعل الخير، لا نفعل إلا الشر؟ هذا بالفعل جوهر موضوع المسرحية التي تعرض حوارا بين متشرد فقد ابنه خلال الحرب العالمية الأولى وألبرت أينشتين الذي أراد أن يساعد على مقاومة النازية والقضاء عليها، لكنه يحس بأنه أدخل العالم المعاصر

إلى عصر مرعب من الصراع المأساوي. هي أيضا صدى للتراجيديا التي عاشها اليهود في ألمانيا النازية وتذكير بأن ما عاشوه يكررونه ضد شعب آخر. خلال المسرحية يصرح أينشتين أنه يساعد اليهود انطلاقا من مبدأ إنساني محض لأنه يكره الظلم الممارس على المظلومين. كما يصرح في أكثر من مرة بنفوره من طبائع اليهود.

مسرحية شميث الأخيرة، تكشف بجلاء أن السعادة الحقيقية يوجد سرها في علاقتنا الحميمة بالطبيعة، إذ يمكن أن تتحقق بعيدا عن الدمار والحروب وصحوة الضمير وعذابه المتأخر، بمجرد الجلوس، والنظر إلى السماء، والنجوم والمطر... والأهم أن هذه المشاهد اليومية التي نراها يوميا، هي ما يشكل الجمال الوحيد، الذي لم يستطع أذى الإنسان بلوغه نسبيا، لتدميره بأطماعه وطغيانه وأسلحة الدمار الشامل.

خيانة أينشتين

تأليف: **إيريك إيمانويل شميث**

ترجمة: **أ. سعيد بوكرامي**

مراجعة: **أ.د. نادية كامل**

دراسة نقدية: **أ.د. محمد شيحة**

الشخصيات

أينشتين

المتشرد

أونيل

هيلين دوكاس

المسرحية

(١)

نهاية الظهيرة، في نيو جرسي، على ضفة بحيرة.

بينما الشمس تضمخ الأفق بلون نحاسي، جلس رجل على الأرض، يعد وجبة طعام بسيطة من خبز وشرائح لحم مدخّن وخيار مخلل.

إنه متشرد يرتدي نعلا وأسمالا مريبة، يضع حقيبة الظهر فوق العشب، ناظرا إلى ما يحدث في البعيد.

ما يراه – وهو مصدر انشراحه – لا نستطيع إدراكه.

عندما غيّر الحدث الذي يتمعنه اتجاه بصره صوب اليمين، دخل أينشتين.

في هذا اليوم الموافق لعام ١٩٣٤ بلغ ألبير أينشتين الخمسين سنة.

أشعث الشعر، قميصه فضفاض، سرواله كتاني، حذاؤه بلا جوارب، ينافس المتشرد في مظهره المهمل.

عندما نزل من مركبه الشراعي مبللا انتفض على حافة النهر وبابتسام للمتشرد أخرج منشفة من محفظته الرياضية.

أينشتين :وإذن، هل راقك العرض؟

المتشرد : ممتاز. قارب شراعي جميل، ونور باهر فوق البحيرة. وسرعة قصوى في بعض الأحيان... اعتقدت أنك ستنقلب خمس مرات على الأقل.

أينشتين :أه، شكرا ... لم يذهب جهدي سدى.

المتشرد :كيف تنجح في هذا؟

أينشتين : ماذا؟ هل تقصد كيف أفرد شراعي فوق الماء أو أستعيد توازن القارب.

المتشرد : تهتم برياضة أنت موهوب فيها كموهبة فيل في الرقص؟ بالنسبة لي سأنسحب مع هذا المستوى من الأخطاء.

أينشتين : أمارس الملاحة منذ عدة سنوات.

المتشرد : حقا...

أينشتين : أحب الأشياء التي تستعصي عليّ.

المتشرد : في هذه الحالة، فقد اخترت الاختيار الصحيح: فلن تسأم مع القارب الشراعي.

أينشتين : يريحني ركوب المياه، تماما كالعزف على الكمان.

المتشرد (قلقا) : هذا يعني أنك تعذب الكمان أيضا؟

أينشتين : أفضل من ملاحتي.

المتشرد : أوف...

أينشتين : لا أحد اشتكى من المؤلفين الموسيقيين الذين عزفت لهم.

المتشرد : ربما، كانوا أمواتا جميعهم؟ لاحظ الأسماك أيضا لم تحتج! لكن عندما تشاهدك تهوي بقاربك نحوها بأقصى سرعة، فلا بد أنها تصاب بالذعر...

(ينفجر أينشتين ضاحكا، غير مفتاظ، ثم ينهي تنشيف نفسه.)

أينشتين : وأنت كيف تروح عن نفسك؟

المتشرد : لا أحتاج إلى الترويح عن نفسي، ولدت مستريحا (متفحصا أينشتين) عجبا! كم تشبهه.

أينشتين : من؟

المتشرد : العالم الذي استقر هنا أخيرا في برينستون بالجامعة. الرجل معروف في العالم بأسره، نيشتين. ألفريد نينشتين.

أينشتين : تقصد ألبير أينشتين؟

المتشرد : نعم. من خلال صور الصحف يمكن القول إنك صورة طبق الأصل منه.

أينشتين (مبتهجا) : لست أول من يلاحظ ذلك.

المتشرد : يبدو أن الشخص رجل مهيب.

أينشتين : يبدو ذلك.

المتشرد : جائزة نوبل في العلوم.

أينشتين (مصوبا) : في الفيزياء.

المتشرد : ماذا؟ أليست علوما هذه الفيزياء؟

(يومئ أينشتين رأسه)

أينشتين : هل تعرف ماذا اكتشف؟

المتشرد : أمريكا.

أينشتين : نظرية النسبية .....

المتشرد : آه!

أينشتين : E= mc2

المتشرد : هذا كل شيء يبذل ؟ لم يبذل جهدا كبيرا!

أينشتين : هل تريد أن أشرح لك؟

المتشرد : على الإطلاق.

أينشتين : هل لديك الوسائل ل...

المتشرد : صمتا لا تنطق بكلمة واحدة لا شيء يثبت عبقريته.
ثم توقف عن التباهي: عندما نشاهدك تقود قاربا،
نفهم أنك لست أنت من يتحدث عن E=mp2

أينشتين (مصوبا) : E= mc2

المتشرد : mc2?

أينشتين : mc2

المتشرد (يهزكتفيه لامباليا.) : إنك تقول أي شيء.

أينشتين : لا.

المتشرد : بلى.

أينشتين : لا.

المتشرد : هات دليلك.

أينشتين : قد يستلزم الأمر وقتا طويلا.

(ظنا أنه يتهرب منه يضحك المتشرد بسخرية)

المتشرد : أوه الجبان، الاعتذار الكبير...(يبتعد أينشتين) انتبه من الأفضل ألا تكون أينشتين لأنني إذا صادفته هو فسأفرك أذنيه.

(توقف أينشتين مهتما بعدما همّ بالانصراف.)

أينشتين : إذن حسنا.

المتشرد : سأركله أينما شئت.

أينشتين : أنت من سيختار أم أينشتين؟

المتشرد : أنا! سأرى ما هو مناسب، العجيزة أم الأذنين، ثم أضرب.

أينشتين : حسنا كلي آذان صاغية.

(يعود أينشتين بمحاذاته).

(ينظر إليه المتشرد من دون فهم).

المتشرد : المعذرة؟

أينشتين : اشحذ انتقاداتك، واعرضها.

المتشرد : لست معني بالأمر. أنت لا ملامة عليك (بمرح) بصرف النظر عن استتساخه لملابسي.

أينشتين : صحيح: لدينا الخياط نفسه.

المتشرد : نعم اسمه البؤس.

أينشتين (يمزح معه) : قوي جدا في المقاسات.

المتشرد (بنفس المرح) : خبير في الثنيات

أينشتين : نختار الأثواب الجاذبة للطخات.

المتشرد : هكذا سنقضي على الرتابة: نغير المظهر من دون أن نغير الملابس.

(يضحكان).

المتشرد : ألا ترتدي جوارب؟

أينشتين : مطلقا، يخترقها إصبع القدم الكبير دائما.

(يقهقهان. ذاب الجليد بينهما. ثم لكز المتشرد أينشتين مشيرا إلى القارب القريب منهما)

المتشرد : قل، ممن سرقت القارب الشراعي؟

يبتسم أينشتين.

أينشتين : هل ترغب أن أخذك في جولة؟

المتشرد : توقف، انا أكره الماء.

أينشتين : آسف، لأن بحيرات النيوجرسي ليست ممتلئة شرابا. ولكن ربما كان بإمكاننا أن...

المتشرد : لا، لا أجيد السباحة.

أينشتين : لست بحاجة لإجادة السباحة.

المتشرد : نعم، برفقتك على الدفة؟

(يكشر أينشتين. يتسلى المتشرد.)

المتشرد : يا للوجه! غريب الشبه بأينشتين. حنون حقا! عينا الكوكر نفسها (كلب صيد إنجليزي طويل الأذنين) الشعر الأشعث نفسه.

أينشتين : يكررون على مسامعي الكلام ذاته منذ خمسة وخمسين عاما.

(يجفل المتشرد)

المتشرد : عجبا!

ينهض مرتبكا ومتراجعا.

المتشرد : أهو أنت؟

يومئ أينشتين برأسه موافقا.

المتشرد : أوه أنا آسف. وأنا أثرثر كما لو كنت شحاذا.

(يدنو منه أينشتين)

افرك أذني عقابا لي .

(يهز المتشرد كتفيه. يلح أينشتين بلطف.)

أينشتين : بلى، بلى، أرجوك: افرك أذنيّ. كان لديك عتاب توجهه إليّ.

المتشرد (محاولا تجنب الموضوع) :ألن تذهب إلى البيت؟

أينشتين : لست مستعجلا.

المتشرد : ألا ينتظرك أحد؟

أينشتين : بلى.

المتشرد : آه...زواج سيئ؟

أينشتين : ببساطة متزوج، مرتان. أحب أن أكرر أخطائي. عادة سيئة حتى أصبح عمري السابعة كنت أكرر جملي كلها. ومازلت أفعل ذلك. مازلت.

(يتردد المتشرد ويفكر ويدور حول نفسه غاضبا نحو أينشتين.)

المتشرد : لا أستطيع استيعاب خطابك ضد الجنود والأسلحة والحرب.

أينشتين : أه، هكذا...أنت تعاتبني على نزعتي السلمية؟

المتشرد : ليس من حقك! لأن عقلك يلمع ينصتون إليك بكل جوارحهم. كيف يمكنك تشجيع الفارين والجبناء ومعارضي الرأي! بصراحة إنك لا تبرهن على ذكائك بتوبيخ الوطنيين الحقيقيين.

أينشتين : الوطنية مرض طفولي، جديري الإنسانية.

المتشرد : تسخر من الجنود الذين يدافعون عنا مضحين بحياتهم!

أينشتين : الكائن الذي يبتهج بالمشي في طابور على إيقاع موسيقى مفزعة لا يستحق إلا الازدراء. يمتلك عن طريق الخطأ دماغا كبيرا، يكفيه النخاع الشوكي تماما. لا ينبغي على الرجال أن يقتلوا بعضهم.

المتشرد : في الحرب لا نقتل من أجل القتل ولكن لكي لا نموت. والجندي يحارب مكانك.

أينشتين : أخذ وعطاء. أنا أفكر نيابة عنه.

المتشرد : أرى: واحدا ضد الجميع، وبعيدا عن الشجار.

أينشتين (يثغو فجأة) : ماء...ماء...ماء...

المتشرد (مصدوما) : معذرة؟

أينشتين : كي تنتمي إلى مجتمع من الخرفان، يجب أن تكون خروفا. ماء...ماء...

المتشرد : الجنود أبطال!

أينشتين : بطولة تحت الطلب، بطولة مشروطة، يا لها من مهزلة!

(المتشرد غاضب، يصرخ بعنف)

المتشرد : كان لدي ابن، إدي، لكنه مات في الحرب!

(يتوقف أينشتين عن التهكم مضطربا.)

المتشرد : مزقته قنبلة. كان عمره واحدا وعشرين عاما. في نهاية عام ١٩١٨ عندما بدأ بعض الجنود يعودون من

الحرب كان يتأخر دائما هذا الأبله...

أينشتين(متعاطفا بصدق) : تقبل عزائي.

المتشرد : تتحدث عن العزاء! كلمة نقولها كي نتحصن من الفراغ. مثل الصليب في المقبرة العسكرية. الصليب الذي نغرسه فوق ثقب هائل. العزاء! (يلتفت صوب أينشتين غاضبا) كنت أحب إيدي كما لم أحب أحدا. ببساطة، لم أفهم أبدا معنى الحب قبل أن أنحني فوق مهده: هو من علمني إياه. طفلي كان أميركيا عظيما. ابني كان بطلا.

أينشتين : لا أشك في ذلك لحظة.

المتشرد (كما لو أنه ظفر بنصر) : حسنا.

أينشتين : هل لديك أبناء آخرون؟

يومئ المتشرد برأسه.

المتشرد : بعد عام من فراقي لابني بشارع الوصول. طردني مديري. فبدأت أحتج وأصرخ وأستسلم لأفكار سوداء. اكتئاب من النوع العنيف. كنت أريد أن أعض الناس.

أينشتين : كنت تلومهم لأنهم على قيد الحياة.

المتشرد : ثم أفرطت في الشراب...

أينشتين : توبخ نفسك لأنك مازلت على قيد الحياة...

المتشرد : بلا حيوية، وبلا عمل، وبلا مال. كانت النتيجة هروب زوجتي وأنا خرجت أذرع الطرقات وما دمت بلا أسرة، فلن أحتاج بيتا. ولم أجهد نفسي من أجل الحصول على راتب؟ أنا يا سيدي لم ألحظ مرور الأزمة... لو كنت مقيدا بعمل ومربوطا بأقساط السلف، بالتأكيد سأكون قد مت عام ١٩٢٩! وبدل ذلك عبرت كاليفورنيا، محددا الأفق سيرا على الأقدام ومكان النجوم ساعة النوم. وللعثور على الطعام كنت أتدبر أمري أو أشحذ السكاكين. هناك دائما سكاكين صدئة تحتاج أن أشحذها... زد على ذلك إذا كان لديك ما...آه، لا لن نعثر بالتأكيد على سكين لدى شخص مسالم!

أينشتين : وبماذا تظن أني أقطع طعامي، بأظافري؟ سأحضر لك سكاكيني.

المتشرد: ألست نباتيا أيضا؟

أينشتين: لا، لكني أفكر في الأمر.

المتشرد : إنه أمر يدعو للياس...

(المتشرد يبدو مرهقا، يعود أينشتين إلى الموضوع)

أينشتين : في حالتك وأيضا في حالتي، الكلمات الأفضل للحديث عن الحرب ستكون الدموع. لا أريد أن تحدث حرب.

المتشرد (مدمدما) : يا له من إبداع ...

أينشتين (بمكابرة عنيفة) :لا أريد أن تحدث الحروب.

المتشرد : طفل... طفل الست سنوات... ربما ست سنوات ونصف... أية براءة...صنبور من الماء المقدس...

أينشتين : هل تحب الحرب؟

المتشرد : سؤالك إن كنت أحب الحرب غبي كسؤالك إن كنت أحب الموت. أنا يا سيدي لا لم أنل جائزة نوبل ولا جائزة نوبل في التسول أو شحذ السكاكين، لهذا أتفادى الأسئلة الحمقاء. الحرب تدهمك وليس في مقدورنا الهروب منها مثلا مثل الموت.

أينشتين : ليس صحيحا! ليست الحرب الوسيلة الوحيدة لحل الصراعات، أنا أفضل المفاوضات والسمو الأخلاقي. نحتفل منشدين بالانتصارات العسكرية في حين أن هذه الانتصارات تهتف في كل مرة مشيرة إلى هزيمة الإنسان. ما هي وظيفة الدولة؟ مهمتها تتمثل في حماية الفرد، ومنحه إمكانية تحقيق ذاته من خلال مهنته، وفنه، وأسرته.

(يتوقف متوهجا، ممتلئا حيوية، مستعد لمواصلة الحديث. يتأمله المتشرد مذهولا).

المتشرد : يا لها من لغة صادحة! . الآن فهمت لماذا تمارس الرياضة: دماغك يغلي إلى درجة أنه يحتاج إلى

التنفيس عن طاقته...

أينشتين : هل أقنعتك؟

المتشرد : أنا من كان يحلم أن يفرك أذنيك، جعلت دماغي عبارة عن جبن أبيض.

أينشتين : هل أقنعتك؟

المتشرد (أصبح صوته هشا) : إذن فأنت لست مسالما قصد السخرية من ابني؟

أينشتين : على العكس، كنت أفضل لو أن ابنك لم يمت في ساحة المعركة. كنت أفضل لو كان ابنك بيننا وأن تكون فخورا بما يفعله اليوم. كنت أفضل أن يمنح مميزاته الثمينة – شبابه، قوته، استقامته وذكاءه – لقضية أخرى غير المعركة. كنت أفضل أن يكون ابنك بطلا على قيد الحياة وليس بطلا ميتا.

المتشرد

(وقد احمر وجهه خجلا) : لطف منك أن تتكبد العناء لتفسر لي وجهة نظرك.

أينشتين : هل أقنعتك؟

المتشرد : ولا ثانية.

(يتبادل الرجلان ابتسامة. يقف أينشتين مستعدا للانصراف).

أينشتين : مهلا، كم الساعة؟

المتشرد : السادسة مساء.

أينشتين : حسنا... لدي موعد الساعة الخامسة، ربما يجب أن أذهب (إلى المتشرد) إلى اللقاء؟

المتشرد : لم لا؟ (مرحا) غريب: لم تعد تدهشني.

أينشتين : هذا جيد لأنني أنا بدوري لم أعد أدهش نفسي.

(ينصرف أينشتين.)

(يظل المتشرد منشغلا.)

بعد دقيقة، يقترب رجل ذو سحنة صارمة يرتدي زيا منضبطا.

أونييل : ماذا قال لك؟

(ينتبه المتشرد إلى الدخيل ينظر إليه بازدراء، وكي يعلمه مزيدا من الأدب)، قال:

المتشرد : مساء الخير!

أونييل (منزعجا) : نعم، مساء الخير.

المتشرد : هل الأدب يسلخ لسانك؟

أونييل : وإذن بماذا حدثك؟

(دون أن يرد يجمع المتشرد أغراضه ويستعد لمغادرة المكان.)

المتشرد (بنبرة الوداع) : مساء الخير.

(متوترا يهرع الرجل نحوه ليمسك به من ياقة القميص دون أدنى مراعاة.)

أونييل : ارو لي ما دار بينكما.

المتشرد : هل بيننا شيء مشترك؟

أونييل : هل انتقد الولايات المتحدة؟ هل تحدث حديثا شيوعيا؟

المتشرد : سحقا لك.

أونييل : من مصلحتك أن تكون أكثر تعاونا. وإلا...

المتشرد : وإلا؟

(يكشر الرجل يخرج من معطفه بطاقة.)

أونييل : الشرطي أونيل من جهاز الاستخبارات السرية ف ب آي.

(ذعر المتشرد الخوف من ثقة المخبر وعزيمته الباردة.)

المتشرد : اللعنة أنت تبث الذعر في قلب آل كبون. «مجرم مشهور» أنت..!

أونيل : الآن، هيا إلى العمل! وبسرعة! أريد تقريرا دقيقا.

إظلام

(٢)

في إحدى ليالي شهر مارس ١٩٣٩.

القمر يغمر الطبيعة الزرقاء الغسقية بضوء فضي.

يجلس أينشتين على الضفة بجواره قنديل زيتي. هذا الأخير يرسل ضوءا ذهبيا، دافئا ومطمئنا. يستخرج رسائل من كيس كتاني كبير وبين الفينة والأخرى يضيف بقلم الرصاص ملاحظة إلى مفكرته.

يجلس المتشرد، ليس بعيدا عن أينشتين، كما ولو أن الأمر مألوف لديه منهمكا بقراءة صحيفة.

(ينتفض.)

المتشرد : آه! في ألمانيا أحرقت كتبك وسط ساحة عامة.

أينشتين : استمتعت بهذا الشرف، إذا كان بإمكانه تحويل صفحاتنا إلى رماد، فإن هتلر لن يتمكن من إحراق الفكرة، لأن الفكرة هي النار نفسها.

المتشرد : لديك عبارات!

أينشتين : إنها اختصاصي

(يواصل المتشرد قراءته).

المتشرد : هذا الهتلر...الاعتقالات والإعدام التعسفي، الشباب الممذهب، والشعب المرغم على التحية بـ «يحيا هتلر» أتساءل إذا ما كانت الصحف تبالغ.

أينشتين : أتمنى أن يكون الأمر كذلك.

المتشرد : يبالغ الصحافيون مبالغة هائلة كي يبيعوا الصحف. أطنان من الورق كورديل هيل وزير الخارجية أكد ذلك اليوم: الصحافة تدفع حقا إلى الإفراط في المبالغة.

أينشتين : هذا يناسبهم ويناسبك ويناسبني أيضا. تصدمنا الأفعال المشينة إلى درجة أننا نفضل التساؤل «هذا ليس صحيحا!» وعندما ننفيها نشعر بأننا بخير، فنتزود بفضيلة رخيصة.

ملاحظة جيدة! عندما كنت في العاشرة شرح لي صديق كيفية إنجاب الأطفال. كان ما شرحه لي شديد القذارة لدرجة أني رفضت تصديقه، فخلصت إلى أنه في كل الأحوال، أعرف أمي وأبي ولن يفعلا شيئا قذرا كهذا.

(يضحك المتشرد، لكن أينشتين لم يضحك وبدا منفعلا بأفكار مكدرة).

المتشرد : أعذرني، أزعجتك بترهاتي.

أينشتين : ليست هناك إلا قيمة واحدة ويجب أن تسود في هذا الكون حيث كل شيء نسبي: إنها الدعابة وقد أحببت دعاباتك. (يعود إلى الموضوع) إن الصحف لا تبالغ المستشار الألماني هتلر ينفذ ما أعلنه،

الحرب والإبادة لبعض الشعوب.

أينشتين : فررت في الوقت المناسب، طبعا، جبان يجيد التوقيت الدقيق...(يرفع أينشتين الحقيبة ويكشف أن هذه الأخيرة مملوءة بالرسائل من مختلف الأحجام) خذ! خمن ما هذا؟

حتى وإن كانت الرسائل موجهة لي، عن دين تركته منذ عشرين عاما في مقاهي الوطن...

أينشتين : خمّن.

المتشرد : تحالفات من أجل الآداب العامة تطلب منك حلق شاربك؟

أينشتين : لا

المتشرد : رسائل من نساء معجبات بك؟

أينشتين : لست مغنيا ولا ممثلا، وأخشى ألا تمثل المعادلات الرياضية أي نوع من الإثارة.

المتشرد (مداعبا) : عرفت، رغم ذلك، نظرية لفيثاغورس التي كانت تثيرني. (يتوقف عن الضحك) في الواقع، كنت دائما أجد مشاكل في الرياضيات.

أينشتين : وأنا إذن! (بجدية) يهود في أوروبا يطلبون تدخلي لأساعدهم في الهجرة إلى هنا إلى الولايات المتحدة. هذه رسائل أسبوع واحد.

يتنحنح المتشرد ثم يسحب رسالة من الحقيبة،

مبرزا إياها لأينشتين.

المتشرد : هل بإمكاني؟

أينشتين : تفضل.

المتشرد : «البروفيسور ألبرت أينشتين. برينستون، الولايات المتحدة» ماذا؟ لا يحتوي المظروف إلا على هذا. ويصلك رغم ذلك؟ وإذن أرفع لك قبعتي! احتراماتي سيدي. اعتقدت أن ميكي وحده من يتلقى رسائل من دون عنوان محدد: «ميكي هوليوود» ورأسا تجدها على مكتب ميكي. (يتفحص الطوابع) يا لها من طوابع رائعة! أنا لو كنت شخصا مشهورا عالميا مثلك لباشرت هواية جمع الطوابع البريدية. ألم تفكر في الأمر مطلقا؟ (يفتح المظروف) هذه مثيرة للاهتمام!: هل أقرأها لك؟

أينشتين : أنا أسمعك.

المتشرد : بلجيكي يشكرك لأنك دعمت حركة معارضي الراي. أليست حركة يسارية واشتراكية؟ أليس كذلك؟

(أينشتين مندهشا)

أينشتين : لماذا؟

(يحس المتشرد بالحرج، لكنه يتشبث برأيه).

المتشرد : يدعي معارضو الراي أن الحروب ينظمها الرأسماليون كي يخضعوا العمال ويقتلوا عناصرهم

الشابة والمحتجة. وحسب ما قالوا لي إن الحركات السلمية مصدرها الشيوعيون.

أينشتين : قالوا؟ من قال لك ذلك؟ من أكد لك هذا الأمر؟

المتشرد : ما عدت أتذكر من؟

أينشتين : يجب أن تتذكر من؟ وتتوقف عن التعامل مع من قال ذلك. أرجوك أن تفعل.

(يتفحص أينشتين المتشرد بقسوة.

لحظة ارتباك.)

(يبدو المتشرد مضطربا ويأخذ في قراءة الرسالة).

المتشرد : هذا البلجيكي يتوسل إليك كي تساعد المعارضين.

أينشتين : أرفض ذلك.

المتشرد : عفوا؟

أينشتين : منذ فترة يسيرة كان يمكن أن نأمل في محاربة السياسة العسكرية في أوروبا من خلال المقاومة الفردية. اليوم وأمام ألمانيا التي تتهيأ للحرب. لا ينبغي أن ننخدع: الحرية في خطر. بلجيكا بلد صغير جدا...

المتشرد : نعم، أعتقد أنها توجد فوق صخرة؟

أينشتين : لا، تلك موناكو. أما المملكة البلجيكية فلا تتوافر

لديها حدود طبيعية وألمانيا ستهاجمها وبلا لف أو دوران، أؤكد لك ذلك. وإن كنت مواطنا بلجيكيا فلن أرفض التجنيد بل سأقبله.

المتشرد : أنت من يقول هذا الكلام؟ أنت تصدمني؟

أينشتين : أنت تقول هذا رغم أنك لست مع السلم؟

المتشرد : لا أحتاج إلى الانتماء إلى الحركات السلمية كي أسجل أنك تخون مبادئك.

أينشتين : لا. أنا أضع مبادئي جانبا على الرف متحينا اللحظة التي سأستعيدها. عندما يمثل من جديد رفض الخدمة العسكرية وسيلة جيدة للمقاومة لخدمة التطور البشري، فلن أكون مسالما «مع وضد الجميع».

المتشرد : ما أجمل رف مبادئك العملي!

أينشتين : لا ليس عمليا وإنما نفعي.

المتشرد : وهل تضع أشياء أخرى على هذا الرف؟

أينشتين : نعم، مبادئي العلمية. المبادئ في كل المجالات فالمبادئ ليس لها معنى مستقل عن نتائجها. يجب أن نتحقق من صحة نتائج التجربة. وكما يحدث هنا فإن مبادئي تقود إلى نتيجة لا أستطيع قبولها: انتصار النازية، وبالتالي فإني أتخلى عن مبادئي.

المتشرد : وهكذا تفعل ما يناسبك! تلعب دور الضمير لسنوات ثم دون سابق إعلان تستسلم.

أينشتين : اليوم، إذا عارض البلجيكي والفرنسي والهولندي والبولندي والمجري عارض الحرب ورفض رفضا مطلقا الخدمة العسكرية والتأهب للحرب، فسيمنح الامتياز للنازيين الألمان وإذا صرت راديكاليا، فإنك ستعمل على انتصار الأقوى.

المتشرد : وإذن ما من جديد! هناك دائما أمم أكثر تسلحا وفسادا وشرا من دول أخرى. لهذا السبب فعلى كل دولة وحتى وإن كانت مهادنة فإنها ستلجأ إلى نظام للدفاع. هل تمسكك بالحركة السلمية سببه أنها لم تخدعك أبدا.

أينشتين : لا تتصرف ألمانيا اليوم كأمة تشبه بقية الأمم. فهي مصابة بالقومية الاشتراكية، التي تطمح إلى قتل الديموقراطية، منشئة مكانها الحزب الوحيد. تهاجم الحريات الأساسية. وإذا استعددنا لمواجهتها، فإننا سندافع عن مفهوم حضاري! الإنسانية في خطر.

لحظة.

(أينشتين يختم).

أينشتين : يجب أن تبتهج، فإني تبنيت مواقفك.

المتشرد : أوه، مواقفي تحزنني إلى درجة أني لا أستطيع الاستمتاع بانحيازك إليّ في انتصاري، لا أرى غير هزيمتك.

(يبتسم الرجلان خلال بضع ثوان، يشعران بتعاطف عميق.)

أينشتين : سأعود إلى البيت.

المتشرد : أنت أرمل لكنك تهرول بسرعة إلى البيت، كما لو مازلت متزوجا.

أينشتين : إلسا المسكينة...

المتشرد : منذ ذلك العهد أليست هناك امرأة أخرى؟

(يصدر أينشتين حركة مراوغة توحي بأنه كان على علاقة بنساء أخريات).

المتشرد : آه على أي حال...

أينشتين : العلاقات العاطفية أكثر خطورة من الحرب: خلال الحرب، نقتل مرة واحدة، مع الحب تموت عدة مرات.(يقترب ليأخذ حقيبة الرسائل) هل يمكنني أن أعهد إليك برسالة أو رسالتين؟ هل ستساعد هؤلاء الأشخاص؟

المتشرد : ليس لدي الكثير من العلاقات، باستثناء كلاب وسنجابين أو ثلاثة وبضع براغيث.

أينشتين (منهكا) : بالتأكيد...

(يبتعد متعبا حاملا حقيبته على كتفيه. يشيعه المتشرد بنظرة شفقة).

المتشرد : سيد أينشتين إنك تأخذ الأحداث بتعاطف كبير. لا أحد طلب منك أن تحمل عبء البشرية على كاهلك.

أينشتين : لا أملك موهبة الحياد. (متألما) لن يدمر العالم بواسطة الذين يرتكبون الشر، ولكنه سيدمر بواسطة الذين يتأملونه من دون رد فعل. وعلى رأسهم روزفلت. يعتبر تقاعسهم أشد خطورة من الذين يقفون لتحية هتلر.

(ينصرف).

(يمكث المتشرد وحيدا، ثم ينظر شذرا نحو اليسار).

(العميل ذو المعطف الأسود يقترب).

أونيل : وإذن، شتم أميركا مرة أخرى؟

المتشرد : لا، إنه سعيد بالإقامة هنا. يتمنى أيضا أن يتمكن آخرون من الاستفادة من أميركا.

أونيل : من؟

المتشرد : يهود مطاردون في أوروبا

أونيل (مكشرا)

نعم، نحن على علم بذلك.

المتشرد : يرهق نفسه كي يساعدهم. يعمل على هذا أكثر

مما يعمل لأجل معادلاته.

أونيل : مضيعة للوقت...في ملف مرشح للهجرة، فإن توصية أينشتين تسفر عن نتيجة سلبية.

المتشرد : لماذا؟

أونيل : نعرف من هو؟

المتشرد : وماذا بعد؟

(يصمت أونيل لحظة، ثم يزجر المتشرد.)

أونيل : هل أطعتني؟ هل دفعته إلى خندقه؟

المتشرد : نعم عرضت له حججك عن معارضي الخدمة العسكرية الاشتراكيين. عن أميركا التي يجب أن تتوجس من المهاجرين البولشفيين.

أونيل : وماذا بعد؟

المتشرد : أصغى إليّ.

أونيل : و...؟

المتشرد : أصغى إليّ.

أونيل : يتوجس...

المتشرد : مني أنا؟

أونيل : من الناس جميعهم. إنه كاذب محترف.

(صمت)

المتشرد : خيبت أملك. أليس كذلك؟ لست مخبرا مناسبا؟ أبحث عن شخص آخر.

أونيل : تحاول أن تلتف على واجباتك تجاه أميركا؟ لو أن ابنك مات في المعركة، سمع ذلك.

(يطأطئ المتشرد رأسه، مشوشا.)

أونيل : هل تعتقد أن تواصلك معه من دون قيمة؟

المتشرد : لا، يضايقني الأمر. في الواقع ليس لدي أي شيء ضد السيد أينشتين، بل أجده شخصا مقبولا...

أونيل : تمالك نفسك. فحتى وإن كان لاجئا هنا، فإنه يكره أميركا. يطلب جنسيتنا وفي الوقت نفسه يلومنا. الرجل يخفي نوايا مؤذية...

المتشرد : ما هي؟

أونيل : يريد تلويث الولايات المتحدة بنقله سم الشيوعية. إنه خائن يخدم الحمر.

المتشرد : هل تعرف هذا أم أنك تتخوف منه؟

أونيل : نحن نبحث كي نبرهن على ذلك.

المتشرد : حسنا! أنت تملك النتيجة ثم تبحث عن البراهين: أنت تفكر بغباء!

أونيل : لماذا يقلق من أجل إقامة أصدقائه هنا؟ يهوديتهم تخفي طبيعتهم الشيوعية.

المتشرد : هذا يتجاوز قدرتي على التفكير... أتركني وأعد لي حريتي.

أونيل : هذا غير وارد. الأيام القادمة ستكون شديدة الأهمية. افتح أذنيك: الأحداث ستجبرالأرنب على الخروج من الغاب.

(يبتعد أونيل).

المتشرد : ماذا حدث؟

أونيل : هتلر اجتاح تشيكوسلوفاكيا هذا الصباح. ستبدأ الحرب في أوروبا.

(٣)

قادما من الطريق مرعوبا ولاهثا يقفز المتشرد قلقا بسبب ما يراه عن بعد على سطح البحيرة ... بحركات سريعة أخذ ينادي شخصا...

المتشرد : احذر! لكن..ذلك ليس ممكنا ...احذر ... أنت تسير باضطراب...سينتهي بك المطاف غريقا إذا...ارفع..يا إلهي...ارفع..سر إلى اليمين.

فجأة يطلق صرخة.

المتشرد : اللعنة لقد انقلب!

(يشعر بالخوف)

المتشرد : هل تجيد السباحة؟ (لحظة) مرحبا..مرحبا... السيد أينشتين أجب! هل تجيد السباحة؟

فجأة أصبح المتشرد أكثر رعبا.

المتشرد : أعيش كابوسا: إنه لا يتحرك، لا يجيب، (بصوت مرتفع) هل أصبت؟ هل تلقيت ضربة؟ مهلا يا هذا! (يحدث نفسه) لقد أغمي عليه!

(قرر أن يقفز إلى الماء. يضع حقيبته ويغادر المشهد.)

(يسمع صوت المتشرد فقط.)

أوه أوه، استيقظ ! سيد أينشتين؟ أنت في الماء. ستطعم الأسماك إذا لم تلتحق بالضفة. يا سيد

أينشتين... أوه اللعنة، لا أجد القوة، أنا... أنا... النجدة! النجدة! ساعدوني!

(صوت ارتطام فوق الماء. وفجأة يعم الصمت).

(أخيرا يظهر المتشرد حاملا أينشتين إلى الضفة. هذا الأخير يبدو أنه تأذى أكثر من العالم.)

(جالسا على الأرض، يسعل المتشرد، ويبصق، يسترد عافيته مصدوما جدا.)

(ثم يلتفت صوب أينشتين منتشيا بكبرياء.)

المتشرد : لقد أنقذت حياتك!

(يبتسم أينشتين من دون ادعاء وهو، مشغول البال.)

المتشرد : ماذا حدث لك؟

أينشتين : لا شيء...

المتشرد : ماذا تعني بلا شيء؟ بداية قدت قاربك بشكل متهور. ثم عندما قذفت إلى الماء مكثت جامدا.

أينشتين : حقا؟

المتشرد : الصدمة؟ تلقيت ضربة؟ الماء البارد؟

أينشتين : لا أعلم. ربما قليل من هذا كله.

المتشرد : كنت صامتا عندما كلمتك! ألم تسمعني؟

أينشتين : كنت أفكر...

(لاحظ المتشرد أن أينشتين يبدو مهموما.)

المتشرد : مشكلة علمية؟

أينشتين : فقط لو أن ... (فجأة يختبر مشاعره مهموما) رسالتي! شرط أن...

(بعدما فتش في جيوبه، يخرج رسالة من داخل سترته.)

أينشتين : مدهش...حتى إنها لم تتبلل.

المتشرد : هذه إشارة جيدة.

أينشتين : عفوا؟

المتشرد : إشارة إلى ضرورة إرسالها...

(يلقيها أينشتين كما لو أنه كان محبطا.)

أينشتين : لا أؤمن بالإشارات. لو تعلم كم كلفتني هذه الرسالة...أبدا لم أشعر بالإلم كما شعرت الآن.

المتشرد : الألم؟

أينشتين : بل أشارك فيه.

(يتأمل أينشتين المتشرد، يتردد في الكلام، ثم يعتدل فجأة).

أينشتين : لا يجب أن ترتجف هكذا... ستصيبك أزمة ارتفاع ضغط الدم. سأذهب للبحث في سيارتي عن غطاء.

انتظرني.

يخرج.

المتشرد : رسالتك؟

أينشتين (صوته يأتي من الخارج)

راقبها. ستبقى بأمان لكن إذا لاحظت دخيلا يقترب، فأخرج أنيابك وانبح.

(هذه المهمة أشعرته بالرعب فزحف صوب الرسالة كما لو كانت شخصا. ينحني لقراءة العنوان.)

(يصفر إعجابا).

المتشرد : يا للأخرق! رسالة إلى روزفيلت؟ لا بد أنه يوبخه، أراهن على ذلك. ثم يجفل بسبب صوت آت من بعيد. عندما أدرك أن الأمر يتعلق بأونيل أسرع إلى تغطية الرسالة.

(العميل يقترب بطريقة مزعجة.)

أونيل : اهتم بذلك أمس حدث لدى أينشتين ذهاب وإياب مريب. استقبل علماء أجانب ودام اجتماعهم السري ساعات.

المتشرد : إنه ليس على ما يرام. حسب معلوماتي، فإنه حاول الانتحار.

أونيل : هو ينتحر، مستحيل.

المتشرد : لو رأيته وهو يقذف بقاربه فوق المغطس ثم يتجمّد في الماء دون حراك. ستشاطرني الرأي.

أونيل : ليس من طبعه.

المتشرد : هل رأيت كيف أنقدته؟

أونيل (بخشونة)

آه، نعم، أنت من غرق، وهو من أخرجك من الماء وحملك على ظهره سابحا.

-(يهز المتشرد كتفيه مفضلا إهمال هذه العبارة.)

أونيل : بماذا حدثك؟

المتشرد : عن رسالة كتبها أخيرا وكلفته كثيرا.

أونيل : آه، لو استطعنا الحصول عليها.

المتشرد بخبث : أكيد.

أونيل : إلى من أرسلها؟

المتشرد : لم يأت على ذكر ذلك.

أونيل : حسنا، سيعود وأنا سأرحل. حاول أن تعرف مضمون هذه الرسالة.

(يختفي أونيل.

يعيد المتشرد الرسالة إلى مكانها مستعيدا وضعية المنتظر وأسنانه تصطك.

يرجع أينشتين.)

أينشتين : ها أنا ذا (يضع غطاء على كتفه ثم يلاحظ وجود الرسالة فيتجهم)

كأني لمحت شخصا، أليس كذلك؟

المتشرد : نعم، متنزه يبحث عن أقرب مطعم. وجه قبيح، لا أحب أن أكون النقانق التي سيلتهمها.

(يجلس أينشتين متدثرا بغطاء ثان.)

أينشتين : الوضع يثير قلقي...

المتشرد : هذا كثير! أنت تجعل كل شيء أشد سوادا. في مارس كنت تفكر أن الحرب ستندلع لأن ألمانيا دخلت تشيكوسلوفاكيا. وها نحن في أغسطس وماذا حدث بعد ذلك؟ لا شيء! توقفت هناك. كما أن فرنسا وإنجلترا وروسيا والولايات المتحدة، لم يعترضوا.

أينشتين : هذا عار...

المتشرد : لن تكون هناك حرب.

أينشتين : ستحدث الحرب حتى وإن كانت فرنسا وإنجلترا وروسيا والولايات المتحدة لا يريدونها. ألمانيا حسمت أمرها والمسألة مسألة أسابيع بل أيام (بعنف) أكره هذه الحرب، لكن يجب أن ننتصر فيها.

ينهض منفعلا، خارجا عن طوره مفصحا عما يسيطر

على تفكيره.

أينشتين (باضطراب) : هل تبين الأمر.

هل تدرك أن الأورانيوم أصبح من الممكن تحويله إلى مصدر جديد للطاقة.

المتشرد (عاجزا عن الكلام):

الأورا...؟

أينشتين (خارجا عن طوره)

* :أصبح من الممكن توقع تفاعل نووي متسلسل داخل كمية كبيرة من الأورانيوم.

المتشرد (ضائعا) : لا؟

أينشتين : سيمكننا من توليد طاقة كبيرة وعدد من العناصر من نوع الراديوم!

(يعلن ذلك، كما لو كان ما يحدث عنه شيئا بديهيا. انتظار لرد من محاوره.)

المتشرد (حائرا) :قل الشيء نفسه بالصينية لأنني إلى الآن فقدت البوصلة.

أينشتين :سنتمكن من صنع القنبلة النووية، القنبلة الأشد قوة، الأكثر فتكا التي لم يصنع مثلها أبدا! ستفوق قوتها المدمرة ملايين المرات قوة المتفجرات العادية. واحدة من هذه القنابل كافية لتدمير نيويورك!

المتشرد (مرتعبا) :يا إلهي!

(يشير أينشتين إلى الأرض بانفعال وكأنه يعلن عن شيء خطير.)

أينشتين : إنها هنا!

يقفز المتشرد مرعوبا.

المتشرد : ماذا؟

أينشتين : هنا!

المتشرد (مذعورا) : هنا؟

أينشتين : هنا! داخل هذا الظرف!

(يتراجع المتشرد معتقدا أن المظروف يحوي القنبلة.

ينظران إلى المظروف بذعر.)

(لحظة معلقة. صمت.)

المتشرد (هامسا) :متى ستنفجر؟

أينشتين : قريبا.

المتشرد (متعرقا) :قريبا، أي متى؟

أينشتين : لا أعلم. ستة شهور. عام. ربما عامان...

المتشرد : حقا...ليس قبل هذا الوقت؟

أينشتين : عندما تكون جاهزة.

المتشرد (يتنهد مرتاحا) : وإذن هذه ليست القنبلة؟

أينشتين : لا.

المتشرد (مطمئنا لكنه مازال حذرا) :وإذن، ما هذا؟

أينشتين : خيانتي.

(المتشرد مذهولا ينظر إلى أينشتين وهو يتألم).

أينشتين (واضعا رأسه بين يديه) :يا إلهي، لماذا؟ لماذا أنا؟

(لحظة)

المتشرد : نعم، لماذا؟

(أينشتين ضائع بين أفكاره، يرتجف.)

أينشتين : عفوا.

المتشرد :لماذا توجه مكتوبك إلى الرئيس؟

أينشتين : يجب على المجتمع العلمي أن يخطر السلطات. يعتقد صديقاي «سزيلار» و«واجنر» أن من واجب أحد العلماء ذي الشهرة العالمية أن يفسر للسياسيين أهمية ما يعد له وكنت أنا من تم اختياره.

(يلوح بالرسالة).

أينشتين : سحبت ألمانيا من السوق الأورانيوم المستخرج من مناجم تشيكوسلوفاكيا، وهذا يدل على أنهم انطلقوا في صنع القنبلة. ولأني أنحدر من هذا

البلد، فأنا أعلم فعاليته وعزمه وجودة علمائه رغم أن الكثيرين فروا خلال سنة ١٩٣٣. ومن هنا أستنتج أنهم سيصبحون قادرين ذات يوم على إنتاج الآلة الجهنمية لصالح هتلر. لا مجال لإضاعة ثانية، يجب أن نسبقهم. (لحظة) هل تدرك؟ إنني، أنا، بصدد تشجيع العسكريين على صنع المتفجر الأكثر دمارا أنا!

المتشرد : يا له من خبر ممتاز.

أينشتين : عفوا.

(يقف المتشرد منتصبا مفعما بالكبرياء.)

المتشرد : أنا سعيد لأن بفضلكم قريبا ستمتلك الولايات المتحدة القنبلة الأقوى.

أينشتين «مذهولا» : لم أفعل ذلك من أجل الولايات المتحدة، أفعل ذلك ضد هتلر، فقط ضد هتلر. وإذا تسربت هذه القنبلة إلى أيدي الفاشيين، فإن الحضارة إلى زوال. أدافع عن فكرة، وعالم وثقافة وليس عن بلد ولا عن حكومة.

المتشرد : تتت تتت تتت، أنت أفضل صديق للولايات المتحدة: بل وطني مخلص. (يربت على كتفه كما لو كان قائدا يهنئ جنديا). أتمنى أن تحصل قريبا على وثائق الجنسية. (يضيف بتبجح، ملهما) الآن، أدركت لماذا قبل قليل تحديت الخطر كي أنتشلك من الغرق...لقد

قمت بشيء أكثر من الواجب: أنقذت بطلا سينقذ أميركا.

(المتشرد متأثر بما قاله، يكفكف دمعة من عينيه.

يظل أينشتين مذهولا.

يشير المتشرد إلى الجهة اليسرى.)

المتشرد : حسنا الآن يجب أن أتناول شرابا. كل هذه المياه غير الصحية، ستصدئ معدتي.

(يختفي معتقدا أن العالم يلحقه.)

(مكث أينشتين وحيدا، يمسك الرسالة ويمزقها بغيظ وهو يصرخ بغيظ شديد،

(ثم يهز رأسه، منهارا، باستغاثة شخص لا يفهمه أحد.)

(يظهر المتشرد.)

المتشرد : هل ستأتي؟

أينشتين : نعم!

(قبل انصرافهما، يجمع أينشتين مزق الرسالة وهو يتساءل عما إذا كان بإمكانه لصقها مقررا رغم كل شيء أن يرسل خطابه إلى روزفلت.)

(٤)

(موسيقى خالصة وسخية تتصاعد مع الليل متناغمة مع روعة الكون.

يجلس المتشرد منصتا باستمتاع.

ثم يدخل أينشتين عازفا هذا المقطع على الكمان. وبسبب نغمة خاطئة ومفاجئة يتوقف عن العزف ويجلس بجانب المتشرد.)

أينشتين : ماذا تفعل؟

المتشرد : لا شيء.

أينشتين : لم يكن هذا حالي اليوم

المتشرد : هذا أفضل. كسلي لا يصل إلى ذروة متعته إلا إذا كان الآخرون يعملون.

أينشتين : يعجبان بالسماء منبهرين.

المتشرد (يشير إلى قبة السماء) : مرحبا بك تحت سقفي.

أينشتين : شكرا

المتشرد : لا أحس بالضجر أبدا. هناك نجوم كثيرة...

أينشتين : شيئان لا نهائيان هما الكون والغباء البشري. وعلاوة على أنني لا أملك يقينا مطلقا يخفي الكون، لحظة

أينشتين : مدهش يا للقمر الضخم! هائل...لم أره أبدا هكذا.

(يلقي المتشرد نظرة منتشية صوب الكوكب الفضي.)

المتشرد : نعم! يجب أن أعترف بأني لست غاضبا من نفسي.

أينشتين : أه أنت الذي ...؟

نعم!

أينشتين *: تقبل تهنئتي.

المتشرد : أتخلى لك عنها مقابل عشر دولارات.

أينشتين : هل يساوي قمر شديد المهابة عشرة دولارات؟ مبلغ لا يناقش.

(يخرج أينشتين ورقة من جيبه ويمدها للمتشرد، الذي يأخذها سريعا.)

المتشرد : تتصرف كرجل نبيل، لأنني بصراحة كنت سأخفض سعر القمر إلى خمسة دولارات.

أينشتين : لا أنت تتصرف كأمير: ضفة رائعة، بحيرة شاسعة، زبد الأمواج الفضية وقمر..قمر..قمر...

المتشرد : نعم، لكن نادرا ما يحالفني، في هذا، الحظ.

أينشتين : ما هذا الصوت الخافت الأخاذ. ماذا نسميه؟

المتشرد : إنها صرار الليل: جوقتي.

أينشتين : تقبل تهنئتي.

(يستل ورقة نقدية جديدة كي يشكره، لكن المتشرد يحول دون ذلك.)

المتشرد : اسمح لي أن أقدم لك هدية من الدار.

أينشتين (ملحا) :أوه!

المتشرد (يتناول الورقة)

شكرا لها.

تتهد باستماع.

المتشرد : هل تؤمن؟

أينشتين : حدد بداية ما تقصده، وسأقول لك إن كنت أؤمن.

المتشرد : من خلق كل شيء.

أينشتين : لأنني فيزيائي، فإني أبحث في مخلوقات الرب.

المتشرد : هذا يعني ماذا؟ «نعم».

أينشتين : إذا كان الإيمان هو الولع بما هو غامض ، فأنا مؤمن. لأن ما يظل غير مفهوم بشكل أبدي في الطبيعة، وهو أن نتمكن من فهمها لها. كلما بحثت وتقدمت للبحث عن الحقيقة، كلما اندهشت وافتتنت. العالم يحيي الطفل في داخلي.

المتشرد : هل يشاهد جنودنا هناك هذه السماء أيضا؟

أينشتين :لا، الحرب تصيب بقصر النظر وتلوي الأعناق. أمام جهاز التسديد لا نتأمل غير الأوحال.

المتشرد : هذا لا يمنع حتى وإن أفرطت في التشاؤم أن الولايات المتحدة دخلت الحرب أخيرا.

أينشتين (بسخرية) :أوه، نعم لدي الأسباب جميعها كي أموت تفاؤلا: الحرب أصبحت عالمية.

المتشرد : الأهم أن تبادر الولايات المتحدة بمساعدة إنجلترا وفرنسا والدول الأخرى.

أينشتين : ثلاث سنوات! احتاجوا إلى ثلاث سنوات وهجوم بيرل هاربور من طرف اليابانيين. لا أجرؤ حتى على إحصاء عدد القتلى.

المتشرد : هذا لا يمنع!

أينشتين (موافقا برأسه) :هذا لا يمنع ! نعم هذا جيد. (فجأة أصبح مترددا) آه، لدي موعد على الساعة العاشرة ليلا. كم الساعة الآن؟

المتشرد : تمام العاشرة ليلا...

أينشتين (هدأ فورا) : مازال الوقت مبكرا كي أصل متأخرا.

المتشرد : تفعل دائما هكذا؟

أينشتين :لاحظت أن الأشخاص الذين يتأخرون عن مواعيدهم

يكونون في حالة نفسية أفضل من الآخرين الذين يحضرون مبكرا.

(يخرج أينشتين ثلاثة أقلام ثم يأخذ يبريها.)

المتشرد : وماذا عن القنبلة؟

أينشتين : هناك فريق يقوده أوبنهايمر يشتغل عليها. بينما النازيون بدأوا العمل قبلنا لأن الرئيس روزفلت استغرق عامين وهو لا يقدر حجم التهديد.

المتشرد : لماذا لست ضمن الفريق؟

أينشتين : أطرح على نفسي السؤال عينه. مع العلم أني أملك جنسية أميركية وبلا شك لست الأميركي الأكثر جهلا بالفيزياء النووية.

المتشرد (محاولا مداعبته) :لغز آخر.

أينشتين : نعم، لكنه مثير للشفقة. لكن لغز البشر دنيء عكس ألغاز الرب...فالرب دائما قدير.

المتشرد : ربما اعتبروك عجوزا.

أينشتين : يصنع فينا العمر آثارا متناقضة: يرهق البعض، ويجرف آخرين. مازال عقلي خصبا، وقد برهنت على ذلك في السنوات الأخيرة.

المتشرد : لست خبيرا في الأسلحة.

أينشتين : آه حسنا. لماذا إذن توظفني البحرية الأميركية،

كي أحل مشاكلهم مع المتفجرات؟ لقد نالت أعمالي رضا كبيرا.

المتشرد : يا لحظك! أنا ألححت عليهم كثيرا كي ألتحق بالمعركة، لكنهم لا يرغبون بي. يقولون إن رائحه الكافور تفوح مني.

أينشتين : عفوا؟

لمتشرد : تفوح مني رائحة في نهاية الفصل. لدي الكثير من القوارير وصرت عجوزا. (لحظة) هل تتقدم أبحاث القنبلة النووية؟

ينشتين : تصور أنني أجهل ذلك. لقد نصبوا جدارا من الصمت بينهم وبيني. حتى مع الأوروبيين الذين أعرفهم جيدا. لا بد أنهم تلقوا تعليمات بذلك. والحكومة هي مصدرها.

لمتشرد : سمعتك ...كرجل يسار...جعلت السياسيين يتحفظون عليك. أنت تدافع عن الصداقة مع الاتحاد السوفييتي.

ينشتين : هناك عدد كبير من الفيزيائيين المعروفين لهم مواقف سياسية مشابهة لمواقفي، ومع ذلك لم يتردد الجيش في تشغيلهم. (لحظة) لا بد من وجود سبب آخر...لا أعرف ما هو.

(ينهض)

أينشتين : ليلة طيبة يا صديقي، أنا مضطر للذهاب، لأني وعدت البحرية أن أحل لهم مشكلة تقنية سيئة في الغد.

المتشرد : ألا تنام أبدا؟

أينشتين : لا أنام طويلا، لكني أنام سريعا.

(يضحكان.

يلقي أينشتين تحية سريعة ويختفي.)

(بعد ثوان، الرجل المتشح بالسواد يتسلل بالقرب من المتشرد.)

أونيل : هل لديه معلومات؟

المتشرد : صفر. يشتكي من أن لا أحد يتواصل معه.

أونيل (مرتاحا) : جيد! ممتاز!

المتشرد : إنه يحتج. لا يستوعب لماذا تم إبعاده عن المشروع.

أينشتين : هل يعتقد أن الألمان متقدمون؟

المتشرد : يرجو ألا يكونوا كذلك.

أونيل (بصوت بارد) : هل أنت متأكد من ذلك؟

(المتشرد يرتجف، يتردد، ثم يؤكد.)

المتشرد : بالتأكيد. (مغيرا من لهجته لتصبح أكثر حدة) هل

تدخلت من أجلي؟ كي ألتحق بالجيش؟ أموت من الملل فأنا بلا نفع.

أونيل : بجلبك لمحادثتك مع أينشتين، ستكون نافعا لوطنك.

(المتشرد يتنهد، مدركا أن أونيل لن يتدخل لصالحه.)

المتشرد : لماذا ترتاب بهذا القدر؟

أونيل: لست ملزما بإعطائك توضيحات.

المتشرد (محرجا) *: آه هكذا إذن؟ أنا يمكنني أن أتجادل معه! ولن تحصلوا مني على كلمة واحدة.

أونيل (ينظر إليه بازدراء وهو مغتاظ)

أونيل : لا أنصحك أن تفعل هذا.

المتشرد : لا يهمني الأمر! بي من الفساد ما يجعلني أستطيع التخلص منك. (لحظة) لماذا؟

(صمت طويل. أونيل مشدود كقوس، ثم استسلم أخيرا.)

أونيل : إنه ألماني.

المتشرد : وإذن؟

أونيل (بإصرار) : إنه ألماني.

المتشرد : لا أنا أحلم بكابوس! تعتبر أنه إذا كان ألمانيًا،

فيمكنه أن يقدم المعلومات إلى الألمان؟

أونيل : الألماني يبقى ألمانيًا.

المتشرد : إنه يحارب هتلر والفاشيين والنازيين.

أونيل : سبب إضافي! إذا كان ليس ضد الألمان. وإنما ضد النازيين، فإن بإمكانه أن يقدم المعلومات للألمان غير النازيين. ومن يؤكد لك أنه حذر روزفلت بهذه الخطة؟ من يضمن لك أن نيته لم تكن سوى إخبار مواطنيه دقيقة بدقيقة بالمشروع النووي وبالنتائج التي تم التوصل إليها؟

المتشرد : أنت لم تمسك إلا القشور من فكره: إذا كان قد حذر روزفلت، فلأنه ضد الفاشية.

أونيل : تقول ضد الفاشية! لديه تعاطف بولشيفي. لنفترض أنه يقاطع الألمان. فمن يؤكد لنا أنه لن يخبر الروس؟ عند اللزوم فسيكون ستالين من يملك القنبلة النووية الأولى. والسبب يعود إلى إهمالنا.

المتشرد : أنت تراه غامضا جدا...لقد حصل على الجنسية منذ عهد قريب. وهو مستقيم وقانوني وليست لديه أسرار خفية...

أونيل : أف، يبقى ارتباطه بالولايات المتحدة غير واضح. أبدا لم يعلن حبه لوطننا.

المتشرد : في النهاية إذا كان يتجسس، فإنه سيصيح بكلام معسول عن وطنيته، وسيلوح بعلمه الصغير.

أونيل : حتما، لقد سحرك حتما.

المتشرد : لا أنا وهو نتجادل غالبا. لكن الرجل طيب أحببته، واحترمته، وفهمته.

أونيل (بسخرية) : أنت تفهمه؟ أنت تحاذي ألبرت أينشتين. أحد مشاهير العالم، من أحدث ثورة في العلوم وطريقة التفكير؟ من تعتقد نفسك؟

المتشرد (يصمت فجأة)

: أوافقك، أنا لست سوى دودة أرض، وبائسة ولا.. ...

أونيل (بازدراء) :اصمت. لست مهما بالقدر الذي يجعلك حتى تلعب دور الشخص المتواضع.

(المتشرد مهان بهذه البداهة إلى درجة أنه لم يستطع الرد.)

أونيل : في كل الأحوال. أنا أعترف وأعلن ذلك من دون خجل: لا أفقه شيئا من هذا الألماني! ومن أسراره الكثيرة التي لا أستوعبها جيدا، كيف يضيع وقته

للتحدث إليك. ليلة سعيدة.

(يخرج.

غاضبا يمسك المتشرد حقيبته ويلقيها لتتدحرج بعيدا.)

(٥)

(تحت قبة السماء المتلألئة بالنجوم يعزف أينشتين موسيقى «باخ» على الكمان. تتصاعد الموسيقى صوب النجوم مستقيمة وصافية وهادئة ورائعة.

فجأة يشعر أينشتين بأن ثمة فاجعة تسقط عليه، فيرتجف.

خلفه يظهر - في جزء من الأرض وداخل مخيلته - فطر من الدخان الذي صنعته القنبلة النووية.

يوقف أينشتين قوس الكمان فوق الأوتار مكتشفا الكارثة.

يأخذ في الارتجاف مضطربا ومرتعبا.)

أينشتين : يا إلهي

(تحت هذه السماء التي تسودها شيئا فشيئا سحابة من الذرات. يبقى جامدا وضئيلا وتافها وعاجزا أمام أطنان من القوة الخالصة والعنيفة التي تجتاح الأرض.)

(٦)

(في جنح الظلام، تنفجر القنبلة. ضوضاء وزلزلة واحتباس للهواء. رياح عنيفة، دخان، يوحي كل شيء أن الحياة انتهت.

ثم يعود النور فوق الضفة الهادئة.

نرى المتشرد وبرفقته أونيل جنبا إلى جنب يحملان صفحات من الجرائد.

الطقس مشمس في هذا اليوم من شهر أغسطس عام ١٩٤٥.

طرح الرجلان خلافاتهما جانبا وأخذا يحضنان بعضهما.)

المتشرد : لقد فزنا! فزنا!

أونيل : أميركا انتصرت! نحن الأقوى، تفوقنا على اليابانيين!

المتشرد : هل تريد شرابا؟

أونيل : ليس خلال العمل، كما أني لا أشرب أبدا.

المتشرد : ماذا تقول؟

أونيل : هيا، أنت محق إذا لم أشرب في هذا اليوم، فلن أفعلها أبدا، ثم إني أشعر بالعطش.

(بينما المتشرد يفتش داخل حقيبته بحثا عن كوب

بلاستيكي، يستولي أونيل على القنينة ومن دون انتظار يشرب دفعة واحدة.

يكتشف المتشرد الوضع، متفاجئا قليلا.

يمسح أونيل فمه.)

أونيل : يوبي! إلى هيروشيما!

المتشرد : إلى هيروشيما! الآن، أصبح مؤكدا أن اليابانيين سيستسلمون.

أونيل : هؤلاء اليابانيون مجانين ومسعورون. الطيارون يعينون هدفا، ثم يفضلون الانفجار داخل طائراتهم بدلا من أن يفشلوا في إصابته. وهذا أسفر عن مجازر بين جنودنا. نتيجة لذلك أطلق ترومان القنبلة. يا للسعادة! إلى هيروشيما!

المتشرد :إلى هيروشيما!

(ينتزع أونيل القنينة من يد المتشرد ويبتلع المشروب مرة أخرى. يشرب كمية خطيرة، بالنسبة إلى رجل غير معتاد على ذلك.

ما أن يترك عنق الزجاجة، حتى بدأ يصرخ فرحا، مثل راعي بقر يمتطي حصانا بريا.)

أونيل : يوبي!

المتشرد : ألست آتيا من تكساس؟

أونيل :كيف تمكنت من معرفة ذلك؟

(يستعيد الزجاجة ثم يكتشف أنها فارغة.)

أونيل : انتظر، أظن أن لديّ واحدة في السيارة.

المتشرد : لا، لا داعي لذلك. هذا يكفي. خصوصا إذا كنت غير معتاد على الشرب. من الأفضل...

أونيل : بلى، بلى، لقد قمت بمصادرة زجاجة من أحد الشهود الذين كنت أقوم باستجوابهم. واحتفظت بها في حقيبتي. انتظرني.

(يختفي وهو يصيح «يوبي».)

(يأتي أينشتين وقورا، ووئيدا ينزل صوب المتشرد. هذا الأخير يحاول أن يحسن مظهره كتلميذ كسول تفاجأ بحضور أستاذه.)

أينشتين :هل علمت بالأمر؟

المتشرد : نعيش يوما تاريخيا.

أينشتين : أكيد أن اليوم سيسجله التاريخ، إذا ما كان هناك تاريخ...

المتشرد (يرفع شارة النصر) : نهاية الحرب العالمية الثانية!

أينشتين (مهمهما) : لا أعلم كيف ستدور الحرب العالمية الثالثة، لكن في المقابل أعلم أنه لن يتواجد جمهور للتعليق على الرابعة. أميركا ربحت الحرب لكن الإنسانية

خسرت السلام. (بغضب) يا لها من خيانة! أعددنا القنبلة لمقاومة الألمان وها هو ترومان يلقيها على اليابانيين.

المتشرد : أعداؤنا!

أينشتين : ما كان روزفلت يفعلها! كان سيكتفي روزفلت باستعراض للقوة في الصحراء، وبلا ضحايا، كي يخيف اليابانيين. لو أنه لم يمت لمنع نائبه. هذا الترومان الجاهل، والمعتوه والبليد، الذي يقتّل اليابانيين كي يتفوق على الروس ولأجل منع الشيوعيين من تحرير آسيا.

(يعود أونيل ثملا كليا وهو يلوح بقنينته.)

أونيل : ها هي قنينة أخرى كي نحتفل بالقنبلة. إلى هيروشيما!

(يلتفت أينشتين صوبه.)

أينشتين : أيها السيد. هل تحتفل بالمذبحة؟

أونيل : اللعنة. الهدف!

(يتوقف مترنحا إلى الأمام ثم إلى الخلف. يجد صعوبة للمحافظة على توازنه.)

أينشتين : من حضرتكم؟

أونيل : اللعنة. الغبي!

أينشتين (يمد يده كما لو أن الأمر يتعلق بعملية تعارف)

: تشرفنا، أنا ألبرت أينشتين.

أونيل : في وضع طبيعي، يفترض أنك لا تراني (يتصافحان) هل تراني هنا؟ (أينشتين يوافق ويهز رأسه. أونيل يغطي عينيه بيده) وهكذا؟

أينشتين : لا الآن لا أراك أبدا.

أونيل : أوف..سأمكث هكذا...

يعود أينشتين نحو المتشرد رافعا كتفيه.

أينشتين : لقد تسبب ترومان في أكبر مجزرة في التاريخ ثم يفتخر بها. طبل ومزمار! النصر! المجد! يتحفنا بحسابات أصحاب الحوانيت: «لقد خلقنا مئات الوظائف» ، « لقد أنفقنا القليل من المال على نتيجة قصوى» ، «نحن الأكثر قوة» !

(لم يستطع أونيل منع نفسه من إبداء إعجابه.)

أونيل : يوبي إلى هيروشيما!

يلتفت أينشتين نحوه غاضبا.

أرجوك. قل كلاما لائقا.

(أونيل ثملا يخفي وجهه وراء يديه)

أنت لا تراني!

أينشتين : ولكني أسمعك! ألقيت هذه القنبلة على مدينة متوسطة. تتكون من نحو ثلاثمائة ألف نسمة. من منهم لم يهلك الآن، فسيموت في الأيام القادمة سواء جراء جراحة أو بواسطة الإشعاعات أو عن طريق الحرائق التي سببتها الحرارة.

(يكف أونيل عن الاختباء خلف يديه. يبتسم لأينشتين. يردف هذا الأخير مستنكرا.)

أينشتين : ثلاثمائة ألف رجل وامرأة وطفل. ثلاثمائة ألف من الأبرياء المدنيين.

أونيل : انتبه! انتظر دقيقة! (يدقق النظر مترنحا من الثمالة الشديدة) العدد ثلاثمائة ألف ياباني.

أينشتين : نعم؟

أونيل : أولا اليابانيون هم أعداؤنا وثانيا اليابانيون هم... يابانيون.

(يقرر أينشتين كي يخفف من غضبه أن يهتم بأونيل. يقترب منه وعيناه تتلألآن.)

أينشتين : أنت شخص غامض بالنسبة إليّ أيها السيد... سيدي ما اسمك الآن؟

أونيل : أينشتين.

أينشتين : لا هذا اسمي أنا. وأنت؟

أونيل : أونيل. باتريك أونيل.

أينشتين : أونيل. يا لروعة هذا اللقب. اسم أميركي حقيقي. كنت أتمنى أن أدعى أونيل. ألبيرت أونيل... ألا يبدو هذا الاسم مثل اسم شاب شجاع؟

أونيل (متأثرا) : شكرا.

أينشتين : إذن سيدي أونيل. واصل تحليلك. عندما ذكرتنا بأن اليابانيين هم يابانيون. هل تقصد أن يابانيا يساوي أقل من أميركي؟

أونيل : هو ذاك!

أينشتين : اسمح لي أن ألح كي أعرف آليات فكرتك العبقرية: إذا كانت مثل هذه القنبلة ستسقط هنا في الولايات المتحدة. هل تتمنى أن تسقط فوق حي للبيض أم للسود؟

أونيل (ببداهة) : للسود.

أينشتين : لأن الأسود يساوي أقل من الأبيض. (أونيل يومئ موافقا) لكن أميركيا أسود هل يساوي يابانيا أو أكثر من الياباني؟

أونيل يفكر.

أينشتين : نعم، أعرف أن الأمر صعب. ما أن نعتبر الناس غير متساوين ندخل في تفاصيل دقيقة تتجاوز العقول الفظة. كن دقيقا سيدي أونيل. الياباني أم الأميركي

الأسود؟

أونيل (متجهما) : الأميركي الأسود يساوي أكثر.

أينشتين : آوه، هذا رائع ، ما تعترف به الآن جد معبر عن عقلية متطورة... في النهاية، نستخلص إذن أن أميركيا أبيض يساوي أربعة أميركيين سودا، وأربعة أميركيين سود يساوون ..ثمانية يابانيين؟

(يومئ أونيل كي يرتفع العدد.)

أينشتين : ستة عشر يابانيا؟

(أونيل يلح على رفع العدد.)

أينشتين : اثنان وثلاثون؟ ستة وستون؟ اثنا عشر ومائة؟ نعم، أنت محق: اثنا عشر ومائة.

(أونيل مغتبطا، يشهد المتشرد.)

أونيل : رائع أيها العبقري...يفهم كل شيء. (يخاطب أينشتين) سأقول لك شيئا سيدي نين... نينشين... أنت لست شيوعيا. لا بلى لست شيوعيا. سأقول لهم ذلك...هناك في الأعلى...في...

(يتدخل المتشرد كي يمنعه من الزلل.)

المتشرد : حسنا هيا دكتور أينشتين ليس لديه الوقت كي يثرثر معك...

أونيل : إنه بطل...

(أينشتين يهمهم.)

أينشتين : فليصمت، أرجوك.

(يسحب المتشرد أونيل بقوة.)

المتشرد : سأرافقك إلى سيارتك، موافق؟

أونيل : موافق. (بنبرة استعطاف هل تظن أن بإمكاني أن أقول له...)

المتشرد : لا.

أونيل : بلى، أنا بحاجة لذلك.

المتشرد : ماذا؟

أونيل : أن أشكره.

المتشرد : أن تشكره؟

مستندا إلى المتشرد يتوقف أونيل أمام أينشتين مترنحا ومتكلما بصعوبة:

أونيل : شكرا، سيدي أينشتين. شكرا من أجل القنبلة!

(وجه المتشرد مرتعب. أينشتين ينتفض على وقع كلمات أونيل.)

أينشتين : عفوا؟ ماذا قلت؟

أونيل : القنبلة! شكرا على القنبلة! إنها بفضلك أنت!

أينشتين : ماذا؟ لكن كيف...

(المتشرد يرغب بجد أن يقطع هذا الجدال إلى درجة أنه يترك أونيل ويلتقط زجاجة المشروب ثم مدها له.)

المتشرد : خذ، يا صديقي، اشرب قليلا قبل أن تذهب.

(أونيل يستهويه الأمر، عيناه تومضان.)

أونيل : ليس كثيرا؟

المتشرد : لا! في مثل هذا اليوم. إلى هيروشيما.

أونيل : إلى هيروشيما.

(يشرب أونيل مبتلعا محتوى القنينة دفعة واحدة. وعندما يفرغ منها. يصيح المتشرد.)

يوبي!

(العينان غائمتان والفم رخو والمظهر مظهر شخص مخبول.)

(يسقط أونيل أرضا.)

(ينحني المتشرد ليتأكد أن أونيل فقد وعيه.)

المتشرد : ممتاز،غيبوبة تامة ! (يبرر تصرفه أمام أينشتين) لم يكن بإمكاني السماح له بقيادة السيارة وهو في هذه الحالة.

أينشتين : من هذا الشخص؟

المتشرد : أميركي من الطبقة المتوسطة.

أينشتين : هذا استوعبته جيدا، شكرا، ما هي مهنته؟

المتشرد : وكيل تجاري- كالجميع.

أينشتين : إذا كان وكيلا تجاريا، فسيكون أكثر تحملا للشرب...ماذا كان يقصد بـ «شكرا سيدي أينشتين على القنبلة» ؟ خيل إليّ أنه يعتقد أني صنعت القنبلة النووية.

المتشرد : حقا؟

أينشتين : نعم، إنه غبي!

المتشرد : هذا غبي، وبالتالي ليس له أهمية.

أينشتين (وقد استعاد جأشه) : ما هو غبي له أهمية كبيرة لأن الغباء يحتوي على إمكانيات كبيرة كي يصدق، ويكرر، إلى درجة أنه يصبح عاديا ويمكن تمريره كحقيقة. من السهل أن نفكك ذرة، لكن من الصعب القضاء على حكم مسبق.

المتشرد : من الممكن أنه يفترض...أنه...بواسطة أعمالك... أن...

أينشتين : إنه، ماذا؟

المتشرد : تمكننا من اختراع القنبلة النووية.

(لحظة. أينشتين يتأمل المتشرد.)

أينشتين : اخترت هذا اليوم لتقول لي هذا الكلام؟

(يضغط أينشتين رأسه بين يديه)

أيها الأحمق؟

المتشرد : سيدي أينشتين...لا بد أن لكم علاقة بالأمر؟

(يصرخ أينشتين صرخة حيوان مطارد:)

أينشتين : لا! أنا أحمل نفسي شيئا واحدا، أني راسلت روزفلت...لأني علمت أخيرا أن الألمان لم يكونوا متفوقين كما كنا نعتقد. (مهتاجا) لو أني كنت أعلم أن النازيين سيفشلون في صناعة القنبلة النووية، فلن أكون لأتكلم. كنت أجهل أن هتلر ثبط العلماء متخليا عن البحث النووي.

هذا الاختراع اليهودي المرتكز إلى نظرية اليهودية .

المتشرد : تقصد نظريتك؟

(ملاحقا بإلحاح المتشرد، يضيف مترددا ومتلعثما.)

أينشتين : لا...(بعنف) لم أخترع القنبلة النووية، ولم ألهمها. لم تكن معادلاتي تقصد الكارثة. كانت أبحاثي نظرية فقط، نظريات خالصة، أعمال فيزيائية قاعدية. كنت أنظر بطريقة...

(يجلس، لاهثا، ويعترف متخليا عن احتراسه:)

أينشتين : اكتشف فرنسي يدعى بيكيريل الإشعاع عام ١٨٩٦ لكن أنا من أوضح في النظرية النسبية أن الكتلة والطاقة يجسدان مظهرين لهما الحقيقة نفسها.

نعم كان لدي حدس وهي أن هناك طاقة كامنة في المادة. وهذا ما شكل قاعدة للفيزياء النووية. وانطلاقا من هذا، فالعالم كله خمن البقية. بدءا من ١٩٣٩ اقتنع الجميع بإمكانية إحداث تفاعل متسلسل: الطاقة المتحررة بالانشطار ستنتج نوترونات جديدة سيطلقان العملية من جديد. (مخاطبا المتشرد) اليوم لم يعد للعلوم مكتشفون ولا هوية أيضا. إنها تتقدم وحدها، تستغلنا، وتستخدمنا كدمى متحركة كي تركب معادلاتها.

المتشرد : إذا قام أحدهم في الليلة التي صنعت فيها نظريتك، بإلقاء القنبلة على هيروشيما، هل كنت تتوقف؟

(أينشتين مضطرب يتفحص المتشرد ويفكر.)

أينشتين : يا له من جواب!

المتشرد : ما هو جوابك...

أينشتين : بصراحة، لو كان بإمكاني مراجعة الأمر...

المتشرد (مصرا) : نعم، لو كان بإمكانك مراجعة الأمر...

أينشتين : سأشتغل سباكا.

المتشرد : أنت تمزح؟

أينشتين : أكون أو لا أكون أينشتين... (صمت) إذا خيرت، فسأتصرف كما تصرفت تماما.

(في هذه اللحظة، جسد أونيل ينتفض يصرخ

هاتفا:)

أونيل : يوبي!

(من دون اهتمام كبير، يصفعه المتشرد صفعة خفيفة كي يفرض عليه الصمت.

يدس أينشتين رأسه بين يديه.

صدى الرياح، ندرك أن هناك تفجيرا، صياحا، مواكب، بكاء أطفال. هل الأمر يحدث في هواء المساء أم داخل رأس الرجلين؟

لا يجب أن نعرف.

عندما يرفع أينشتين رأسه، نراه يبكي...)

أينشتين : لم أفعل شيئا، لكني لن أسامح نفسي.

(٧)

(تحت شمس خجولة، يلتقي المتشرد بأونيل على ضفة الماء.

سذاجة المتشرد المعتادة يشوبها الاضطراب. شاحب وحذر، تلتهمه الوساوس.)

أونيل : الآن أصبح مؤكدا أن الروس يملكون القنبلة النووية. لقد فجروها في الصحراء، كي يستهزؤا بنا.

المتشرد : قرأت هذا.

أونيل : لقد انتشر الوشاة في كل مكان في أميركا. نحن متأكدون. كيف تظن أن البولشيفيين تمكنوا من صنع القنبلة؟ لقد سرقوا مخططاتنا!

المتشرد : هل هذا ممكن؟

أونيل : يمكن أن نضاعف الاحتياطات ونضيف الحراس ونعلي الأسوار ونؤمن المناطق. ولا شيء سيمنع فيزيائيا أن ينقل الصيغ والمعادلات. ثم هناك أيضا النساء...

المتشرد : عفوا؟

أونيل : المخابرات السرية الروسية لا تتردد في إرسال نساء جميلات كي يغرين الرجال المهمين ثم يجمعن الأسرار. لقد أرسلوهن مرارا إلى الدكتور أينشتين الذي يبدو أن عقله ليس فقط هائما بين النجوم وإنما فوق الوسادة أيضا.

المتشرد : اللعنة! كل معلوماتنا خاطئة وأنت وأنا: يجب أن تكون متجسسا عليك، لا جاسوسا (يتمالك نفسه) تريد أن تفهمني أنه يزقزق لهن بالمعادلات همسا! أنت تتهمه بالخيانة!

أونيل : من السهل أن نصل إلى الخيانة، يكفي أن تكون لك مشاعر جيدة. خذ مثالا بأينشتين خاصتك: كان يلعن كثيرا بعد تفجيرات هيروشيما وناجازاكي لدرجة أنه صرخ بأنه يجب نزع القنبلة النووية من أميركا وعلى أن يعهد بها إلى قوة دولية مثل الأمم المتحدة. في ١٩٤٦ أسس لجنته المستعجلة المكونة من العلماء النوويين. مجموعة سلمية ضد القنبلة النووية حيث يوجد الباحثون في مشروع مانهاتن الذين عملوا على صناعة القنبلة. كلما أتيحت له الفرصة، فإنه يهز الرأي العام، يطالب إما بنقل السلاح أو التخلي عنه نهائيا. عندما نتحرك هكذا، فليست هناك غير خطوة واحدة لتسليم سر صناعة القنبلة إلى الاتحاد السوفييتي.

المتشرد : تتحدث في الهواء أم لديك أدلة؟

أونيل : لدينا بعض المسالك. منذ الآن يخضع أينشتين لمراقبة عالية. كل شيء مدروس، بريده، نفاياته، مكالماته، زواره، لا نترك أي تفاصيل جانبا. ما أن نحس بأننا على استعداد...

(المتشرد يطأطئ رأسه.)

المتشرد : إعدام تعسفي.

أونيل : محاكمة، سجن، طرد، سنرى ماذا سنفعل. تصفية منتقاة لصاحب جائزة نوبل.

المتشرد : هناك تصفيات كثيرة في الآونة الأخيرة.

أونيل : هل تتحدث عن السود؟ لا تتدخل فيما لا يعنيك.

المتشرد (مدمدما) : تهيأ لي أن الأمر يعنيني حتى وإن كنت بجلد أبيض.

أونيل يحدثه بازدراء، يفترض أنها ستجعله يصمت.

أونيل (باحثا عن أينشتين في الجوار) : ليس في ميعاده، كالعادة.

المتشرد : التأخر امتياز النساء الصغيرات والرجال العظماء.

(مستسلما فجأة للغضب) لقد طفح الكيل! أنت تفسد حياتي!

أونيل : أه حقا؟ على الأقل نتركك تواصل حياة التشرد. تخيل لو أننا أعدنا فتح ملفك...

المتشرد : أنا لست متهما بأي شيء.

أونيل : الجميع متهمون.

المتشرد : لا

أونيل : والبعض أكثر من غيرهم.

المتشرد : توقف!

أونيل : يمكن مثلا أن نتذكر تصرفاتك المستوجبة للمحاسبة: الاعتداء على الممتلكات الخاصة...

المتشرد : أوه، من أجل النوم...

أونيل : ...خدشك للحياء...

المتشرد : كنت أستحم في النهر...

أونيل : ...والضرائب المختلفة غير المؤداة...

المتشرد : إذا كنت الآن سأدفع عن ضرائب الحسنات، فإنك ستودع يسوع وحوارييه الاثني عشر في السجن بتهمة التهرب الضريبي...!

أونيل : كفى! ها هو هدفك. اجمع المعلومات التي تهمنا. وإلا...

(ينصرف.)

(يبدو أينشتين أقل حيوية من المعتاد. شاحب الوجه قسماته مشدودة. يلحق بالمتشرد.)

أينشتين : صديقي، لدي خبر حسن!

المتشرد : القنبلة الروسية؟

(يتوقف أينشتين مندهشا قليلا.)

أينشتين : ماذا، القنبلة الروسية؟

المتشرد (قلقا) : لا تقل لي إنك فرح بسبب القنبلة الروسية! لا، أرجوك، لا تخبرني بهذا.

أينشتين (مكشرا) : القنبلة الروسية...

المتشرد (مفجوعا): لقد قلت لي إنك تعارض أن تبقى القنبلة خاصة بالأميركيين.

أينشتين : القنبلة الأميركية...لولا العلماء الأوروبيون، ما استطاع الأميركيون صنع مفرقعة!

المتشرد : أنت تصفق إذن من أجل القنبلة الروسية!

أينشتين : توقف عن استعمال تعابير مضحكة. ليست القنبلة لا روسية ولا أميركية. زد على ذلك إذا أردنا تجاوز نسبتها إلى دولة، فإننا سنسميها القنبلة الفرنسية لأن العلماء الذين اخترعوا القنبلة هم: م م جوليو كوري، هالبان وكوفارسكي داخل مختبرات الكوليج دي فرانس في باريس. نعم! وقد سجلوا حقوق الملكية عام ١٩٣٩. ورغم ذلك، فإنه بعد مجزرة هيروشيما وناجازاكي لم يطالب الفرنسيون بحقوق الملكية.

المتشرد (مازال قلقا) : هل أنت مسرور؟

أينشتين (بحرقة) :سأنفجر من الفرح!

المتشرد : لماذا؟

(يشعر أينشتين بألم في قلبه، يبحث عن سند. يهرع المتشرد صوبه كي يساعده.)

أينشتين : آه...اعذرني..هل أجد لديك قليلا من الماء؟ إذا لم أتناول هذا الدواء...

المتشرد : هل تبلع بمشروب؟

أينشتين : نعم.

(يبتلع الدواء والمشروب، يتنهد، ويسترخي).

المتشرد : مشاكل في الهضم؟ أنا أيضا لدي حياة غنية في الداخل.

(يبتسمان).

المتشرد : وماذا بعد؟ ما الذي يفرحك إذن؟

أينشتين (بابتسامة غامضة)

: قريبا، لن تكون هناك حروب.

(لم يستوعب المتشرد السخرية، بل فهمها بشكل سطحي.)

المتشرد : رائع ومتى؟

أينشتين : بعد الحرب العالمية الرابعة.

المتشرد : لماذا؟

أينشتين : لأن الإنسان سينقرض، بفضل القنبلة H.

المتشرد : ماذا تعني بالقنبلة H؟

أينشتين : يعني أنه بمجرد أن تتفجر لن يتبقى أحد لدفن الموتى. القنابل A التي ألقيت على هيروشيما ونجازاكي لا تمثل شيئا أمام القنبلة H القنبلة الهيدروجينية.

المتشرد : يا إلهي...

أينشتين : الشر بشري وليس إلهيا. (صمت) من الآن فصاعدا أصبحت للإنسان الوسائل ليدمر نفسه ويفني كل مظاهر الحياة.

(يقف المتشرد منتصبا على قدميه ويحدث أينشتين بحدة لم يجرؤ عليها من قبل.)

المتشرد : ألا تخجل من نفسك؟

أينشتين : عفوا.

المتشرد : ألا تخجل من كونك عالما؟ يسلح أيدي الأوغاد؟ ويجعل القتلة أكثر قذارة؟ أن يتصارع الأشخاص. هذا ما فعله الناس دائما، لكن الآن، وبمساعدتك، تغيرت المقدرة. شكرا سيدي. نقتل أكبر عدد في أقل وقت وجيز. المجازر خمسة نجوم يا له من تقدم وكأنها تسير.

أينشتين : دعك من هذا. أنت تبالغ! إنهم...

المتشرد : يا للتقدم الملعون! وأنا من كان يعتقد أن العلم يجسد ذروة الحضارة..نعم، بواسطته تقدمت البشرية، لكن في التوحش. آسف سيد أينشتين ما تجسده من ثقافة ومعرفة جعلنا نسير في الاتجاه الخاطئ. فأصبحت نهاية الثقافات المتعددة حروبا عالمية ومعسكرات للاعتقال وقنابل نووية وقنابل هيدروجينية. لم تصنع غير الموت!

أينشتين : لكن...

المتشرد : أحس بالذعر!

ينهض يلتقط حقيبته وينصرف.

أينشتين : انتظر. اسمعني.

المتشرد : لا، إني خائف، وأرتعش، أحس بتعرق بارد، أمعائي تؤلمني وجوفي يهتاج. الأرض تشرف على الموت. والأمل قد رحل. ونسير نحو الانهيار. أخاف من اليوم وأتشكك من الغد وأخشى ألا يكون هناك بعد غد. وأحبط عندما أصادف وغدا. أهتدي حينما أصادف عبقريا. ولا أدري من سأخشى أكثر، الوغد أم العبقري.

(يهرب تاركا أينشتين في حالة ارتباك.)

(يحاول العجوز أن يلحق بالمتشرد، لكن في هذه اللحظة التي ينهض فيها، يزأر ألما ثم يهوي أرضا.)

(بضع ثوان فيما بعد ذلك ، يعود المتشرد على أعقابه

لأنه رأى صديقه يتهاوى ساقطا.)

المتشرد : السيد أينشتين...السيد أينشتين...

(يدخل أونيل بدوره، مرتبكا وهو يراقب المشهد. عندما يلمحه المتشرد يخاطبه موبخا.)

المتشرد : لا تقف مسمرا هنا، يا وجه الجرذ! هيا اطلب طبيبا بسرعة!

يدنو أونيل ويلاحظ أن أينشتين في وضع سيئ.

أونيل : كلمه ولا تتركه يغمض عينيه. سأهرع للبحث عن المساعدة.

يذهب أونيل ركضا.

(يشد المتشرد العالم بين يديه. صافعا خده صفعات خفيفة، ثم يستعيد أخيرا أينشتين وعيه.)

المتشرد : آه، دكتور أينشتين...ابق واعيا. لقد ذهب للبحث عن طبيب وسيارة إسعاف. تتت...تتت...ابق واعيا (باحثا عن موضوع للمحادثة كي يشد انتباه أينشتين) قل لي، أريد أن أعرف: هل تحب أميركا؟

(أينشتين بصوت وديع وبطريقة طفولية).

أينشتين : بالتأكيد.

المتشرد : لماذا؟

أينشتين : لأن لدي صديقاً في أميركا.

المتشرد : آه صحيح؟ من يشبه؟

أينشتين : لحية أب كبيرة برأس يشبه هنود السيو.

(يتبادلان نظرات مودة).

المتشرد : ما الذي يعجبك في شخصي، إذا استثنينا مظهري المبهر؟

أينشتين : يصعب أحيانا محبة الرجال. معك يبدو الأمر سهلا.

المتشرد : لماذا؟

أينشتين : لأننا لا نتفق حول أي شيء، فإن لدينا دائما أشياء كثيرة نتحدث عنها. (يضحكان) يفتتن الناس بأهداف بخسة مثل الثروة والسلطة والرفاهية والنصر. أنت لا.

المتشرد : أنا حر.

أينشتين : ليس تماما. أنت حبست نفسك داخل ذكرياتك مخصصا حياتك للابن الراحل. ولكي تحتفي به أنت تعيش بعيدا عن الآخرين وبعيدا عن المجتمع، بعيدا عن الضوابط، بعيدا عن كل ما عرفته من قبل. حداد عظيم ومثير. أنت تبلبلني وإذا قارنت نفسي بك، فأنا شخص بائس

المتشرد : توقف! أنت رائع.

أينشتين : أنا رائع؟ يبقى الأمر نسبيا. العالم العظيم يخفي أبا صغيرا وزوجا ضئيلا جدا. لقد خنت ثقتهم، لـقد... (بقسوة) طفلان مريضان جينيا. الأولى ماتت والثانية في مصحة عقلية. ثم ابن لامع يدعى هانس ألبرت يشتغل مدرسا للهندسة الهيدروليكية بجامعة بيركلي والذي أزوره أقل مما أزور زملائي. أخشى أن يكون دماغي أكبر من قلبي.

المتشرد : لا أنت تحب البشرية.

أينشتين : أحلم بها..هل أحبها؟ (صمت) أحب العالم كله لكن هل أحببت يوما أحدا بعينه؟

يبدأ بالارتجاف فجأة تصطك أسنانه.

المتشرد : ماذا يحدث بك؟

أينشتين : لست على ما يرام يا صديقي. كانت الأرقام دائما كثيرة في دماغي، لكن الآن هي أكثر: أعداد ضحاياي. مئات الآلاف. وملايين غدا وبعد غد المليارات. وهذه الأرقام تختلف عن الأخرى، تفوح منها رائحة الجثث المتحللة، والنفايات البشرية. هل ستشعر بها ؟ إنها أنفاس هيروشيما..يعبر المحيط كل ليلة. الرياح التي تعقب من الملايين من الطاقة هي رياح حارقة...أنفاس الهيروشيما تجوب الأرض. يصلني أيضا، يلامس كتفي ويوقظني لأرى العدم. أردية من الدخان الأسود، تملأ السماء.

(في هذه اللحظة أحس أينشتين بوعكة جديدة، وفقد الوعي. يقلق المتشرد.)

المتشرد : دكتور أينشتين! دكتور أينشتين...النجدة! أحد ما! بسرعة!

(٨)

(وقت الغروب حيث القمر يبدأ المكتمل في الظهور. يقف المتشرد وأونيل وجها لوجه.

يرتدي أونيل معطفا وقفازا ووشاحا استعدادا للرحيل، بينما المتشرد يختفي انفعاله خلف مظهر حاد.)

المتشرد : لكني قلت لك إنه سيلحق بي!

أونيل : المتشرد:

قد وعدني. الأحد القادم عند اكتمال القمر. لم يخب ظني مطلقا.

أونيل : لا تفكر في الأمر أبدا. لن يتمكن من التنقل. فهو لا يغادر مسكنه مطلقا. لا يقدر على الحركة.

المتشرد : لا أصدقك أبدا!

(رغم علمه بضعف أينشتين الشديد، فإن المتشرد ينكر ذلك.)

بحركة متوترة، يمد أينشتين

للأسف: تعلمني إياها بعد فوات الأوان كي أتمكن من استعمالها. (متمعنا في القمر) أوه، لقد تفوقت على نفسك، إنه باذخ، يشبه تحفة. يساوي قمرك على الأقل خمسة عشر دولارا.

المتشرد : أوه، لا دعني أهديك إياه.

(يخرج أينشتين حزمة من الأوراق المالية ويدسها في جيب المتشرد.)

أينشتين : بلى، بلى، أصر على ذلك. ستحتاجها أكثر مني.

(مدركا أن الأمر يتعلق بهدية وداع، يشعر المتشرد بغصة في حلقه، حتى صار لا يستطيع الرد ولا الشكر.)

أينشتين : عندما تمعن النظر في السماء، هل تلاحظ الحدود؟ عندما تتأمل النجوم، هل تعتبر جوازات السفر ومراكز الجمارك وألوان البشر ذات قيمة تذكر؟

(يهز المتشرد رأسه.)

المتشرد : في الواقع أنت المتشرد، وبلا جذور، بلا هوية، الغريب من كل مكان، الإنسان. أنت من يتجول ليس على الأرض فقط وإنما في السماء، رفيق النجوم ومسافر اللانهائي، وبطل النسبية. مقارنة معك أنا أبدو كبورجوازي أبله.

(يضحكان، باستهتار).

المتشرد : لماذا أنا؟ يا سيد أينشتين؟

أينشتين : لأنك أنت.

المتشرد : لكني لم أخترع المشي إلى الوراء.

أينشتين (مرتعشا) :لا أدري ما إذا كان هذا ما اخترعته، بشكل مباشرة أو غير مباشرة، جعلني أهلا لرفقة...(منحنيا) أنت تملك قلبا طيبا ولا يمكنك الخيانة.

المتشرد : أنا؟

أينشتين : أشك كثيرا في أن عملاء FBI قد أزعجوك أحيانا..من جهة أخرى أرجو أن تسامحني على هذا الضرر.

المتشرد متأثرا يشعر برغبة لاحتضان أينشتين، لكنه يتمالك نفسه.

أينشتين : هووفر وترومان ومكارتي...لن نستطيع أبدا التفاهم تماما كقبرة مع قرش: يسعون إلى تمرير سياستهم على أنها أخلاق بينما أنا أحاول أن أجد سياسة لأخلاقي.

المتشرد : كيف حالك؟

أينشتين : عرفت في حياتي ثلاث إهانات عظيمة: المرض والشيخوخة والجهل. من حسن الحظ سيأتي شيء في النهاية للقضاء عليها.

المتشرد : ما هو إذن؟

أينشتين : الموت. (نطق أينشتين هذه الكلمة من دون خشية، كرجل راض بمصيره)

إنها تدنو مثل دين قديم، سأؤديه أخيرا ...

(يتنحنح المتشرد ويغير الموضوع.)

المتشرد : هل تتذكر ذلك اليوم، منذ عدة سنوات، كنت غاضبا عندما خفت أن تصنعوا أنتم العلماء أسلحة قوية جدا؟ ولقد غيرت رأيي. الهلع سيحمينا. سينتج عن المواجهة النووية بلبلة ضخمة. سترغم الحكام على المفاوضات سلفا. سنحصل على السلام لأن العالم بأسره سيصاب بالرعب.

أينشتين : السلام، هذا هو الاسم الذي تطلقه على هذا الرعب.

المتشرد : السلام النووي!

أينشتين : أردت أن أخوض هذه الحرب للتخلص من الحرب، وها هي النتيجة: سلام نسميه الحرب الباردة! السلام الأبدي بواسطة قلق دائم!

المتشرد : لن نغير الإنسان، سيدي أينشتين: يحتاجون أن يشعر بالخوف كي يفكروا. وبلا أعداء أو خطر، لن يتحدوا أبدا. هل تؤمن بالإنسانية المبنية على النوايا الحسنة؟ أما أنا فلا أؤمن إلا بالتضامن المبني على الخوف.

أينشتين : لست متفقا معك. لقد روضنا على مر القرون الكثير من رغباتنا الوَضيعة، فأصبحنا أكثر تسامحا وعقلانية وتهذيبا. لم يعد الإنسان جزءا من الطبيعة بل أصبح يبتكر نفسه بنفسه. يمكننا أن نتطهر. أحلم بيوم تتخلص فيه البشرية من العنف والخوف.

المتشرد : تقبل الناس، كما هم يعيشون. وأنت تريد أن تغيرهم.

أينشتين : بالضبط. مشكلة اليوم ليست الطاقة النووية، بل قلب الإنسان. يجب تجريد العقول من أسلحتها قبل أن نجرد الجنود من أسلحتهم.

(يخرج أينشتين قلم رصاص، ويبدأ ببريه.)

أينشتين : خذ، هذه حياتي كلها.

المتشرد : ما هذا؟

أينشتين : النشارة... قلم مبري يعطي ١٧٥. ها هي الخلاصة الدقيقة لحياتي: احتاج إلى ثلاثة أقلام في اليوم، أصنع يوميا ٥٢٥ نشارة أي ٣٦٧٥ أسبوعيا، ويمكن القول ١٩١١٠٠ سنويا. هل تتخيل معي؟ منذ دخولي إلى الجامعة في سن ١٨ إذن استعملت ٦٣٥١٠ قلم رصاص، قدمت أكثر من ١١ مليونا من النشارة، من دون احتساب الطباشير والريش والمحابر التي أفرغتها. أضف إلى ذلك ثلاثين صفحة يوميا أي

سلفا ٦٣٥٠٠٠. ونشافا واحدا عند الانتهاء من الخمسين صفحة أي ١٢٧٠٠. وممحاة كل شهر أي ٣٠١٦. أنا أحد أكبر المنتجين للنفايات على هذه الأرض.

المتشرد : ليس هذا ما سيذكرونه عنك.

أينشتين : نعم، هذه النشارة جميعها ستختصر في معادلة صغيرة: $E=mc^2$. (لحظة قصيرة) يا لها من مهزلة! لا نريد غير الخير لكننا حتما نصنع الشر. حياتي بكاملها وأنا منشغل بالحقيقة، بلورت نظريات إنسانية. تصورت مخططات دقيقة وسخية. بيد أن القدر وبإلحاح غاشم ضاعف النتائج المشؤومة. من المستحيل أن تتفادى الأسوأ بينما الأفضل يتراجع بمقدار ما أتقدم كقوس قزح في سماء صافية. ملاك طوعي وشيطان بالرغم منه. ها هي معادلة وجودي.

المتشرد : أمنعك من جلد نفسك.

أينشتين : أنا تراجيديا، تراجيديا النوايا الحسنة. أخيرا وهذا ما يطمئنني أني سألتحق بهذا...الحطام، والغبار والرماد. يا للسكينة...

المتشرد : توقف!

أينشتين : لماذا أثور ضد المحتوم؟ هناك نوعان من الموتى، الثائرون والراضون، من يصدرون الصرخة الأخيرة

ومن يصدرون الزفرة الأخيرة. أنا سأخرج زفرة أخيرة...(لحظة) سأشتاق إليك.

المتشرد : وأنا أيضا.

أينشتين : رائع أليس كذلك؟

المتشرد : رهيب!

أينشتين : لا أبدا، هذا الفقد سيتوج صداقتنا. (لحظة) عند رحيل أحد المقربين لا ينبغي البكاء من الحزن لكن من الفرحة. بدلا من الأسف على ما انقضى يجب أن نفرح بما كان عليه.

(صوت امرأة يدوي في البعيد.)

صوت هيلين دوكاس : دكتور أينشتين!

أينشتين (بصوت مرتفع) : نعم! (مخاطبا المتشرد) هيا بنا، يجب أن أسرع...انظر كم الساعة؟

المتشرد : خذ وقتك. أفضل أن تكون متأخرا في العالم الآخر بدلا من أن تكون متأخرا في هذا العالم.

(يتأملان بعضهما).

أينشتين : يجب أن أعود، لدي رسائل كثيرة يجب أن أحررها، وأريد أن أوقع نداء السلام الذي صاغه برتراند راسل بالبريطاني.

المتشرد : ستذهب، لتعمل؟

أينشتين : الحياة تشبه دراجة هوائية، يجب الاستمرار في التقدم إذا أردنا عدم فقدان التوازن.

المتشرد : يمكنك أن تستريح أخيرا.

أينشتين : يا صديقي، سأكشف لك عن سر: كنت سعيدا. نعم لا أدري كيف وصلت إلى هذا وأنا أخوض معارك ثقافية عديدة وأتلقى شتائم كثيرة وأعبر حربين عالميتين وأتـزوج مرتين، لكن ما حـدث، حقيقة ممتعة، وغريبة: كنت سعيدا إلى حد الوقاحة.

(يبتعد أينشتين ببطء، وعلى مضض.

بالدموع، إلى السماء القاحلة، ورغم ذلك يبتسم في اتجاهها.)

مسرحية خيانة أينشتين

إيريك إيمانويل شميث

دراسة نقدية: أ. د. محمد شيحة

أنا.. تراجيديا النوايا الحسنة!!

يقول «مارتن إيسلن» في مقدمة كتابه «تشريح الدراما» إن الممثلة «إليزابيث بيرجنر» كانت قد أقنعت «ألبرت أينشتين» ذات مرة - والذي كان واحدًا من كبار معجبيها - بأن يصحبها إلى المسرح، وسألته بعد العرض عن رأيه في المسرحية ولكن الرجل العظيم أبى أن يعطيها رأيًا، فقد كان يعرف القليل عن مواضع الجمال في العمل الدرامي، فقال لها «إنك تعرفين أني قلما أذهب إلى السينما!».

وتمضي الأيام وتدور عجلة الزمن ليصبح الرجل نفسه وبعد سنوات تاريخًا وتصبح شخصيته مثيرة لخيال المبدعين، فقد تناول «فيليب جلاس» سيرة حياة ذلك العالم الكبير في عمله أينشتين على الشاطئ، كما أثارت شخصيته اهتمام «إيريك إيمانويل شميث» وحفزته على كتابة المسرحية التي بين أيدينا.

وقبل تحليل مسرحية «خيانة أينشتين» يحسن أن نلقي بعض الضوء على هذه الشخصية من واقع بعض المعلومات المتاحة عن بعض جوانب ومواقف من حياته وعن بعض إنجازاته في مجال «الفيزياء»، فقد نشر عام ١٩٠٦ ثلاثة بحوث صغيرة حول «نظرية النسبية» وحركة الضوء الإلكترونية وحركة

الأجرام السماوية، وقد سعى فيها إلى إيجاد المبادئ الموحدة والعامة والبسيطة لوصف الكون، كما حاول أن يتصور صورة الموجة الضوئية كما تبدو لمراقب مصاحب لها ويتحرك في سرعتها نفسها ووجد أن الوصف الناتج عن ذلك لا يتطابق مع المعادلات السائدة التي كان الفيزيائيون والرياضيون يعتقدون أنها دقيقة دقة كاملة في وصفها للمجال الكهربائي المغناطيسي، ووجد أنه من الممكن أن يتخلص من هذا التناقض عن طريق معادلات أخرى في «نظرية الإلكترونات».

وسرعان ما اكتشف أن سرعة الضوء هي السرعة القصوى في الكون، وأنها سرعة ثابتة في أي إطار أو تحت أي ظرف.

ويلاحظ أن الدوائر العلمية قد قبلت بنتائج عمل «أينشتين» في المجال الضوئي الكهربائي بأسرع مما اقتنعت «بنظرية النسبية».

وقد استخدم نظرية «الكم» ثم تجاوزها في قياس أنواع أخرى من الطاقة النووية والحرارية وتحديد شكل انطلاقها.

في عام ١٩١٦ تمكن من توسيع مجال «النظرية النسبية» لتتضمن كل أنواع الحركة المتسارعة وبين أن قوة أو طاقة الجاذبية لا تؤثر على الكتل المادية فحسب، بل تؤثر في المكان/ الزمان نفسه، وعلى الموجات الضوئية، وقد ثبت ذلك تجريبيا أثناء مراقبته لكوكب «عطارد» ثم لكسوف الشمس عام ١٩١٩.

وفي سنواته الأخيرة سعى إلى توحيد نظريتي «الكم» و «الجاذبية» أو

«نظرية كل شيء» التي تفسر الحركة الداخلية لجسيمات الذرة والنواة ولحركة الأجرام السماوية والكون، وقد حصل على جائزة نوبل سنة ١٩٢٢، وقد خرج من ألمانيا بعد وصول «النازي» إلى السلطة، وأرسل إلى الرئيس الأميركي «روزفلت» يطالبه بالعمل على صنع السلاح النووي قبل «النازيين»، وقد شارك الفيلسوف البريطاني «برتراند راسل» (١٨٧٢ - ١٩٧٠) في معركة السلام، وفي النداء الذي وجهه للعالم لوقف سباق التسلح و «راسل» كما هو معروف مؤسس المنطق والفلسفة الرياضيين الحديثين، ويعتبر أحد العقول المسؤولة عن بناء صورة الفلسفة الجديدة كمنهج للتفكير ونظام للمعرفة، وبأنها ليست مذهبًا أو رؤية مغلقة للعالم، كما أنه يتخذ من الحرب موقفًا ثوريًا واضحًا، فقد كان يرى أن الحرب العالمية الأولى هي حرب عدوانية، لا يصح أن يشارك فيها، وتعرض بسبب ذلك للطرد من كليته وللسجن، وعندما ترك «بريطانيا» وسافر إلى «الولايات المتحدة» قوبل بترحيب علمي كبير مع رفض سياسي واجتماعي واضح.. وبعد الحرب العالمية الثانية عاد إلى الاهتمام بالسياسة وكون محكمة أهلية وأصدر من خلالها حكمًا بإدانة الرئيس الأميركي «هاري ترومان»، والسوفييتي «جوزيف ستالين» وكل من شاركهما في صنع الأسلحة النووية (*).

ويطلق «شميث» لخياله العنان في صياغته لمعالجة جوانب ومواقف وأفكار وآمال حفلت بها سيرة حياة «أينشتين»، ولا يعني الخيال هنا تقديم نقيض الحقيقة، وإنما يعني نظاما من الإنتاج والتحولات لتجربة الكاتب

(*) انظر: سامي خشبة، مفكرون من عصرنا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ٢٠٠٨، الصفحات ١٢٢: ١٢٤ وصفحة ٤١٢.

فهي ليست تجربة معينة لما نحن عليه، وإنما أكثر من ذلك؛ لأنها تتمثل في إدراك وجودها الخاص بصورة مختلفة، حيث تنفصل عن سرد معين لكي تصبح فاعلا لمشهد فكري جديد.

تحليل المسرحية

تبدأ أحداث المسرحية عند ضفة بحيرة في «نيوجرسي» عام ١٩٣٤ حيث يلتقي «ألبيرت أينشتين» (١٨٧٩ - ١٩٥٥) عن طريق الصدفة البحتة بذلك المتشرد الذي يرتدي أسمالا بالية ويفترش الأرض.. كان «المتشرد» يتطلع إلى الأفق البعيد بنظرة تعبر عن انشراحه، ولكن مضمونها يبقى داخل ذهنه فقط.. في ذلك اليوم يبلغ «أينشتين» الخمسين من عمره - وفقا لما تؤكد عليه الإرشادات المسرحية - كما تؤكد على مظهره المهمل المتبدي في شعره الأشعث وقميصه الفضفاض وسرواله الكتاني وحذائه الذي يرتديه من دون جوارب، وهو يبدو على هذا النحو وكأنه ينافس «المتشرد» في مظهره والفارق بينهما والذي نعرفه مقدمًا هو أن «أينشتين» هو ذلك العالم المعروف، فمن هو الرجل الآخر؟ أهو رجل متسول يعيش على حافة المجتمع، أم أنه صاحب قضية اختار أن يعتزل هذا المجتمع، وهل يعتبر ذلك اللقاء مجرد لقاء عابر بدأ بعد نزول «أينشتين» من مركبه الشراعي عند حافة البحيرة ؟

وقد ساهمت ابتسامته للمتشرد ثم سؤاله المباشر له «هل راقك العرض؟ في فتح باب الحوار بين شخصين يعلم قارئ النص المكانة العلمية لأحدهما ولا يعلم عن الطرف الآخر شيئا.

لقد كان ذلك «المتشرد» إذن يراقب العالم وهو يمارس رياضة ركوب القوارب الشراعية والتي تتمثل موهبة ممارسها في التحكم في درجة توازن القارب والسيطرة على توجيه الشراع والتي يمارسها «أينشتين» من مبدأ حبه للأشياء المستعصية - كما يقول - إلى جانب أن ركوب الماء في حد ذاته يشعره بالراحة مثله في ذلك مثل إجادة العزف على الكمان، كما هو معروف عنه وما يلبث ذلك «المتشرد» أن يكتشف أنه يحادث ذلك العالم المعروف في العالم بأسره، والذي استقر في «برينستون» فشكله مطابق بالفعل لما رآه في الصحف، وقبل أن يؤكد له العالم صحة استنتاجه قام أولا بتصحيح بعض معلوماته فاسمه هو «ألبير» وليس «ألفريد» وهو حاصل على جائزة «نوبل» في «الفيزياء» وليس في العلوم؟! وأنه لم يكتشف أميركا وإنما نظرية النسبية التي يلخصها في المعادلة E=mc2!

وهو يفعل ذلك بطريقة تلقائية من دون أن يكون هدفه هو التأكيد على أنه هو الشخص نفسه، بل لقد كان على وشك الانصراف، ولكنه يتوقف بعد أن سمع همهمة «المتشرد» الذي ظن أنه يتهرب منه، والذي يبادره بقوله: انتبه من الأفضل ألا تكون «أينشتين»؛ لأنني إذا صادفته هو فسأفرك أذنيه!

ولأن الرجل مازال في حيرة من أمره بسبب ما يبدو عليه نتيجة تقارب مظهريهما فقد راحا يتبادلان بضع عبارات يهدف من خلالها المؤلف إلى إذابة ما بينهما من جليد والعمل على تأكيد هوية ذلك العالم، الأمر الذي يثير حب الاستطلاع لدى المتلقى في محاولة معرفة لماذا يحمل هذا الرجل المتشرد العداء لعالم في مكانة «أينشتين» إلى درجة رغبته في ضربه وركله

كما يقول؟! وسرعان ما تبين أن الأمر يتعلق بمسألة «الحرب والسلام» فالمتشرد لا يستطيع استيعاب وجهة نظر «العالم في خطابه الذي ألقاه ضد الجنود والأسلحة والحرب؛ فالمتشرد ضد تلك النزعة السلمية التي ينادي بها العالم، فأينشتين ضد أن يقتل الرجال بعضهم البعض ويرفض سياسة القطيع والبطولة المشروطة، ويتجلى المحرك الأساسي للسجال المتوقع بين وجهتي النظر التي يمثلها كل منهما في ماضي وحاضر شخصية «المتشرد» فهو أب فقد ابنه «إيدي» في نهاية عام ١٩١٨، أي عند نهاية الحرب العالمية الأولى، وكان ابنه وقتها في الحادية والعشرين من عمره، وهو يعتبره أميركيا عظيما مات بطلا جديرًا بأن يفتخر به هو وكل أميركي، وبعد عام واحد فقط من موت ابنه طرده مديره من العمل وأصيب على إثر ذلك بنوع من الاكتئاب نتيجة صراخه المستمر واحتجاجاته واستسلامه للأفكار السوداء ورغبته في الانقضاض على من يحيطون به من الأحياء، وكأنه يلومهم؛ لأنهم مازالوا على قيد الحياة، وترتب على ذلك إفراطه في الشراب، وخاصة بعد أن أصبح بلا أسرة وبلا مأوى بعد أن هجرته زوجته فراح يذرع الطرقات ويعيش على التسول وعلى مهنة شحذ السكاكين، وقد حرص «إيريك شميث» في تلك اللوحة الأولى على مدنا بمعلومات غزيرة عن الشخصيتين عن طريق عرضه لوجهتي النظر «حول الحرب والسلم» بالقوة نفسها وبطريقة موضوعية محايدة؛ ليظهر ما بين الشخصيتين من تعارض ليس فقط على المستوى العاطفي، بل وأيضا على المستوى السياسي.

إن «أينشتين» لديه في رفضه للحرب مبرراته القوية، وهو يسوقها وفقا

لمنطق صارم يبين فيه دور الفرد ودور الدولة بطريقة يبدو فيها وكأنه رجل قانون وليس رجل علم، فمهمة الدولة كما يراها تتمثل في حماية الفرد ومنحه إمكانية تحقيق ذاته، وهي تضع نفسها خارج القانون عندما ترغمه على ممارسة الاستعدادات العسكرية وتضعه خارج دائرة الأخلاق عندما تلزمه بقتل الآخرين لتخون بذلك رسالتها الأساسية القائمة على حق المواطن في الحياة الكريمة، لا أن تدفعه للموت.. لقد ظن المتشرد أن دعوة «أينشتين» للسلام سخرية من ابنه ومن تصوره هو نفسه لمفهوم البطولة، وزيادة على ذلك يبادره «أينشتين» بقوله «كنت أفضل لو أن ابنك لم يمت في ساحة المعركة، كنت أفضل لو كان ابنك بيننا وأن تكون فخورًا بما يفعله اليوم»..

ويطرح «أينشتين» رؤيته التي يحرص من خلالها على إحداث نوع من الثورة العقلية وفقا لعدة أسس:

أولا: تحطيم العاطفة القومية، هذا الحب المزعوم لقومنا الذي يضيع ضمن كراهية الآخرين.

ثانيًا: يجب أن نُحث الشباب على رفض الخدمة العسكرية، أليس من الأفضل أن نستغل هذا الوقت، وهذا المال لكي نشكل عقولا تحترم الحياة.

ثالثًا: يجب تدمير الصناعة التي تساند القومية من وراء الستار «مع اقتراح ألا نشيد ثكنات عسكرية: نهاية مطلقة للتسلح.

وبانتهاء «أينشتين» من هذا السيل من العبارات التي تشكل في مجملها بيانًا أو منشورًا سياسيًا يتحقق نوع من التقارب بين الرجلين وينصرف «أينشتين» على أمل لقاء الرجل مرة أخرى، فهو يعرف أين يجده فقد اتخذ من ضفة البحيرة موطنًا له.

وعلى الفور يقتحم المكان «أونيل» الذي يحول بين «المتشرد» وبين جمع أغراضه طالبًا منه أن يروي له ما دار بينه وبين «أينشتين» من حديث، وعما إذا كان قد انتقد الولايات المتحدة أو ظهر من كلامه ما يفيد أنه شيوعي؟! ثم تغيرت لهجة الرجل من التساؤل إلى التهديد إذا لم يستجب «المتشرد» إلى أمره بضرورة التعاون معه وكتابة تقرير مفصل عن كل ما دار بينه وبين العالم وذلك بعد أن يريه بطاقته التي تفيد أنه يعمل بجهاز الاستخبارات السرية «إف. بي. آي» ويقفز «شميث» قفزة زمنية كبيرة في اللوحة الثانية، فقد مر على اللقاء السابق بين الشخصيتين خمسة أعوام، ولا شك أن مرور مثل ذلك الزمن قد حمل معه العديد من الأحداث والوقائع، فنحن الآن في عام ١٩٣٩ أي نهاية ثلاثينيات القرن العشرين، ونذر الحرب العالمية الثانية تدق الأبواب، والسؤال البديهي الذي يقفز إلى ذهن المتلقي هو: هل تجددت اللقاءات بين «أينشتين» وذلك المتشرد طوال هذه المدة، وكيف تطورت؟ فمن غير المعقول أن يكون اللقاء التالي قد تم هو الآخر بطريق الصدفة.

يتم اللقاء بينهما بالفعل في المكان نفسه حيث يجلس الصديقان متقاربين: «أينشتين» يستخرج مجموعة من الرسائل من كيس كتاني كبير، ويدون بين الفينة والأخرى بعض الملاحظات في مفكرته، بينما يقرأ المتشرد إحدى

الصحف ثم لا يلبث أن يصيح منتفضًا «آه في ألمانيا أحرقت كتبك وسط ساحة عامة» ولم يكن ذلك الخبر مفاجئًا لـ «أينشتين» الذي يؤكد له أنه إذا كان بإمكان «هتلر» أن يحول ما كتبه من صفحات إلى رماد فإنه لن يتمكن من إحراق فكره، وكرد فعل على ما أعلنته الصحف من أن «هتلر» سوف ينفذ ما أعلنه من الحرب والإبادة لبعض الشعوب يبدي المتشرد ارتياحًا بأنه ليس يهوديًا؛ لأن اليهود هم أول من يخشى هذا الاجتياح المتوقع،

وهذا يعني أنه قد أخذ في مطاردة اليهود ومنعهم من العمل واعتقالهم.. إن الكيس الذي يحمله «أينشتين» عامر برسائل عديدة من مختلف الأحجام وجميعها من يهود أوروبا يطلبون منه أن يتدخل لمساعدتهم في الهجرة إلى الولايات المتحدة، ولكن الأمر ليس بيده، وليس بهذه السهولة، ولأن «أينشتين» لا يملك مالا ولا منصبًا، فإن مساعدته للآخرين ستظل دائمًا محدودة، فأي حلول فردية في هذا الموضوع لن تجدي شيئًا، كما أنه يرى أن الأمر لا ينحصر في تلك الأفكار التي تشغل بال «المتشرد» من أن الحرب ينظمها الرأسماليون كي يخضعوا العمال ويقتلوا العناصر الشابة المعارضة والمحتجة، وأن الحركات السلمية المعارضة للتسلح العسكري مصدرها الشيوعيون، ورغم دعوة «أينشتين» السلمية فإنه يرى أن التحريض على الرفض المطلق للخدمة العسكرية تأهبًا للحرب في الدول المهددة بالاجتياح سيمنح الامتياز للنازيين، وهو يلخص وجهة نظره هذه بقوله «لا تتصرف ألمانيا اليوم كأمة تشبه بقية الأمم، فهي مصابة بالقومية الاشتراكية التي تطمح إلى قتل الديموقراطية منشئة مكانها الحزب الوحيد.. تلاحق

اليهود وتهاجم الحريات الأساسية وإذا استعددنا لمواجهتها فإننا سندافع عن مفهوم حضاري! الإنسانية إذن في خطر!

وعندما تحين ساعة انصراف «أينشتين» بعد تلك المحادثة عن اليهود والحرب والسلام يلجأ «شميث» إلى الدعابة كبعد إنساني كي يخفف من جفاف تلك المناقشات التي لا تهدف إلا إلى التذكير بالخلفية التاريخية للأحداث التي شهدتها أوروبا في نهاية الثلاثينيات، فردًا على التلميح بعلاقات «أينشتين» بالأرمل النسائية يقول للمتشرد مداعبًا «والعلاقات العاطفية أكثر خطورة من الحرب: خلال الحرب نقتل مرة واحدة، مع الحب نموت عدة مرات»، ويمضي «أينشتين» منهكًا متعبًا حاملا حقيبته على كتفه يشيعه بنظرة شفقة ويتبعها بقوله:

المتشرد: سيدي إنك تأخذ الأحداث بتعاطف كبير. لا أحد طلب منك أن تحمل عبء البشرية على كاهلك.

أينشتين: لا أملك موهبة الحياد (متألمًا) لن يُدمر العالم بواسطة الذين يرتكبون الشر، ولكن بواسطة الذين يتأملونه من دون رد فعل وعلى رأسهم روزفلت.. يعتبر تقاعسهم أشد خطورة من الذين يقفون لتحية «هتلر».

وكما حدث في اللوحة الأولى تنتهى هذه اللوحة بظهور العميل «أونيل» يتقصى، ويتحرى عما دار بين «أينشتين» و«المتشرد» من حوار قد يفيده في مهمته ويضيف جديدًا إلى ما عنده من معلومات، ولكنه يكتشف أن المعلومات التي نتجت عن اللقاء لا تضيف أي جديد إلى ما يعرفه هو

شخصيًا فهمه الأكبر هو البحث عن الأدلة التي تدين «أينشتين» بتهمة تلويث الولايات المتحدة بنقله سم الشيوعية ويصمه بأنه خائن يخدم الحمرا ويحاول المتشرد أن يقنع العميل بأنه مخبر فاشل ويطلب منه إعفاءه من تلك المهمة أولا؛ لأن العالم رجل مقبول بالنسبة له، وثانيًا لأنه مازال يتوجس منه، ولكن العميل يصر على استمرار مراقبة واستدراج «أينشتين» ويطالبه بمزيد من اليقظة؛ لأن الأحداث القادمة شديدة الأهمية فقد اجتاح «هتلر» تشيكوسلوفاكيا. وهذا يعني بداية الحرب في أوروبا.

لقد عودنا «شميث» فيما قرأنا له من مسرحيات أو روايات أنه يبرع في تفسير الدوافع المحركة لسلوك الشخصيات، وفي الكشف عن حالات التوتر والترقب وغيرها من الانفعالات المصاحبة للأفعال يساعده على ذلك قدرته على كتابة حوار متدفق يسهم في بث المعلومات والتعريف بالشخصيات وتطوير الحدث، وهو بذلك قادر على جذب انتباه المتلقي، والإمساك به من خلال التوقع الناتج عن التوتر والباعث على تتبع الفعل.

ويشير «مارتن إيسلن» في كتابه «تشريح الدراما» إلى أن هناك صنوفًا عديدة من التوتر والذي قد يكمن في السؤال: ماذا سيحدث بعدئذ؟ وقد يكمن في القول: أنا أعرف ماذا سيحدث ولكن السؤال هو: كيف سيحدث؟ وقد يتجاوز ذلك بالقول: أنا أعرف ماذا سيحدث وكيف سيحدث، ولكن ما هو رد فعل «س» تجاه ما سيحدث؟

ولتحقيق ذلك لا بد أن يسعى المؤلف إلى تحقيق نوع من التغيير المستمر لوتيرة السرعة والإيقاع، فعلى سبيل المثال قد يكون المشهد الهادئ أتم

الهدوء باعثًا على السأم أو الملل عندما يأتي بعد مشهد هادئ آخر في حين أنه سيكون مبعث ارتياح وتقبل إن جاء بعد مشهد صاخب جدًا، ورغم أن الفكر عنصر مهم من عناصر تركيب المسرحية في دلالته على المغزى العام والجانبين العقلي والانفعالي فيها فإن «شميث» يبدو في المسرحية التي بين أيدينا مهتمًا بأقوال الشخصيات أكثر من اهتمامه بأفعالها بسبب حرصه على عرض آراء ووجهات نظر الشخصية أكثر من اهتمامه بعواطفها ومشاعرها وربما كان لطبيعة الموضوع المعالج أثر كبير في حدوث ذلك، فهو في أحسن حالاته في اللوحات السابقة يسعى إلى أن يضع متلقيه في خلفية الأحداث والوقائع ويعمل على مده بمعلومات عن طبيعة تلك الفترة الحافلة بالأحداث الساخنة فبعد ما يقرب من مرور خمسة أشهر على أحداث اللوحة الثالثة والتى أشار فيها إلى أنه لم يحدث أي جديد بعد أن قامت ألمانيا بغزو تشيكوسلوفاكيا، فقد مكثت فيها كل هذا الوقت ولم تعترض القوى الأخرى الممثلة في فرنسا وإنجلترا والولايات المتحدة، ورغم ذلك يؤكد «أينشتين» أن الحرب سوف تندلع خلال أيام أو أسابيع على الأكثر، وما يشغل باله هو أنه قد قابل نفراً من العلماء وتم الاتفاق فيما بينهم على تكليف «أينشتين» بإخطار السلطات بالخطر الوشيك الوقوع بعد أن سحبت ألمانيا اليورانيوم المستخرج من مناجم تشيكوسلوفاكيا وهذا دليل قاطع على أنهم بصدد الانطلاق في صنع القنبلة النووية الشديدة القوة والأكثر فتكًا إذ تبلغ قوتها المدمرة ملايين المرات قوة المتفجرات العادية بحيث تكفي قنبلة واحدة فقط لتدمير «نيويورك» !

يعتقد «أينشتين» أن بإمكان ألمانيا إنتاج تلك الآلة الجهنمية لصالح «هتلر» وأنه يتعين عليه وهو صاحب الدعوة للسلام أن يسبق الألمان وأن يشجع العسكريين الأميركان على صنع تلك القنبلة، وهذه هي الخيانة بعينها.. خيانة «أينشتين» لقيمه ومبادئه وللقانون الأخلاقي الذي يتمسك به وهو لا يفعل ذلك من أجل الولايات المتحدة وإنما ضد «هتلر» فهذه القنبلة لو وقعت بالفعل في أيدي الفاشيين فإن الحضارة إلى زوال، هو إذن كما يقول يدافع عن فكرة وعالم وثقافة وليس عن بلد ولا حكومة، ويبدو «أينشتين» حائرًا مشتتًا لإحساسه بالوحدة وبأنه لا يجد من يفهمه على نحو صحيح إذا قام بإرسال الرسالة التي كتبها للرئيس الأميركي «روزفلت» محذرًا ولذلك فإنه يقوم بتمزيقها قبل انصرافه، ثم يقوم بجمع ما مزقه وفي ذهنه سؤال: هل يقدم على ذلك الفعل أم لا؟!

ويتخلل حوار الصديقين في تلك اللوحة بالذات بعض اللمحات الشاعرية في حديثهما عن بعض مظاهر الطبيعة التي يعتبرها كل منهما الملاذ الذي يلجأ إليه للهروب من الوحدة والهواجس والضغوط التي تحاصرهما.

لقد دخلت «الولايات المتحدة» الحرب أخيرًا وهناك فريق من العلماء يقودهم العالم «الفيزيائي» «روبرت أوبنهايمر» بهدف العمل على إنتاج القنبلة بعد أن استغرق «روزفلت» وقتا طويلا قبل أن يقتنع بحجم وخطر التهديد الذي ينتظر العالم إذا نجح الألمان في مسعاهم، ورغم أن «أينشتين» قد حصل على الجنسية الأميركية؛ إلا أنه لم يرشح لمعاونة ذلك الفريق علاوة على وضعهم جدارًا من الصمت بينهم وبينه، وقد يبدو ذلك لغزًا بالنسبة

للمتشرد ولا يكفي لتفسير ذلك مجرد الإشارة إلى كون «أينشتين» يساريًا يدافع عن الصداقة مع «الاتحاد السوفييتي».

ويرى «أونيل» رأيا آخر بقوله إن الألماني يظل دائمًا ألمانيا وهو يظهر دائمًا في الصورة فور انصراف «أينشتين» بعد كل لقاء بينه وبين المتشرد وذلك لتأكيد المحاولات المستميتة التي يقوم بها «مكتب التحقيق الفيدرالي» برقابة أقواله وتحركاته وأفعاله، ويرى «أونيل» أيضًا أنه إذا كان «أينشتين» يحارب «هتلر» والنازيين الفاشيين فإنه بإمكانه أن يقدم ما لديه من معلومات للألمان غير النازيين، كما أنه يبدي تعاطفًا مع الروس ومن يضمن ألا يمدهم بمعلومات مهمة إذا أصبح شريكا في فريق العمل وقتها لا يستبعد أن يكون «ستالين» هو الذي يمتلك «القنبلة النووية» الأولى وعندها قد يفسر الأمر كله على أنه إهمال وعدم حرص من السلطات في الولايات المتحدة التي سمحت برفع أو تخفيف الرقابة على «أينشتين»، ورغم تلك التحفظات التي يسوقها «أونيل» فإنه لا يذيع سرًا إذا ما أكد لنفسه من دون خجل وهو يتحدث بصوت مسموع أن ذلك الرجل بأسراره الكثيرة مازال غامضًا بالنسبة له فهو مازال لا يعرف الإجابة عن سؤال: كيف يضيع رجل في مثل مكانته العلمية كل ذلك الوقت في الحديث مع ذلك «المتشرد» الذي يصف نفسه بأنه دودة أرض بائسة، والذي يحاول «أونيل» دفعه دائمًا للإحساس بالمهانة؟! وهذا في حد ذاته يعتبر بمفهوم المخالفة دليلا قويًا على بدائية الطريقة التي يحاول من خلالها ذلك العميل الحصول على أي معلومات خاصة مع اعترافه بمدى الهوة الفكرية الفاصلة بين الشخصيتين!

لقد تم إعداد القنبلة لمقاومة الألمان إلا أن الرئيس «ترومان» قام بإلقائها على اليابانيين، ويعتقد «أينشتين» أن «روزفلت» لم يكن ليفعل ذلك فقد كان من الممكن أن يكتفي باستعراض للقوة بتفجير تجريبي في الصحراء كي يخيف «اليابانيين».

وعندما تحدث المواجهة للمرة الأولى بين «أينشتين» و «أونيل» الذي كان قد ذهب قبل وصول «أينشتين» لإحضار قنينة خمر من سيارته ليحتفل مع المتشرد بإلقاء القنبلة على «هيروشيما» ويثير ذلك غضب العالم فيبادره بقوله «أيها السيد هل تحتفل بالمذبحة؟.. قبل أن يمد له يده بهدف التعارف.. يفاجأ «أونيل» وتسيطر عليه حالة من الاضطراب بفعل إفراطه في الشراب تحت تأثير نشوة الانتصار ولتوجسه من النتائج المرتقبة التي قد تترتب على ذلك اللقاء فهو في حالة عدم اتزان ويدل على ذلك إخفاء وجهه بيديه معتقدًا بذلك أن «أينشتين» لن يراه!

أونيل: أنت لا تراني.

أينشتين: ولكني أسمعك! ألقيت هذه القنبلة على مدينة متوسطة تتكون من حوالي ثلاثمائة ألف نسمة من منهم لم يهلك الآن سيموت في الأيام القادمة سواء من جراء جراحة أو بواسطة الإشعاعات أو عن طريق الحرائق التي سببتها الحرارة، كما أن هؤلاء الرجال والنساء والأطفال ضحايا مدنيون أبرياء.

ويحاول «أينشتين» أن ينتزع من فم ذلك المخمور المتباهي بانتصار أميركا معادلة بسيطة كنتيجة للمقارنة بين الياباني والأميركي الأبيض

والأميركي الأسود، وكم يساوي كل منهم في مواجهة الآخر، هل يساوي الياباني أقل من الأميركي وهل يساوي الأسود أقل من الأبيض ويبدي «أونيل» إعجابه بمعادلة «أينشتين» وكاد أن يكشف له عن حقيقته لولا تدخل المتشرد لإقناعه بأن الرجل لا وقت لديه للثرثرة معه، ولكنه قبل انصرافه يلقي قنبلة من العيار الثقيل بقوله «شكرا، سيد «أينشتين». شكرًا من أجل القنبلة! إنها بفضلك أنت؟!!!!

يصاب المتشرد بالرعب وينتفض «أينشتين» من وقع كلمات «أونيل» الذي يبتلع محتويات قنينة الخمر دفعة واحدة ويسقط أرضا فاقدًا وعيه ويحاول «أينشتين» معرفة شخصية ذلك الغبي ولكن المتشرد يراوغه.. لقد أزعجه اعتقاد هذا الشخص أن له دورًا في صناعة القنبلة، وربما كان هذا هو أيضًا اعتقاد المتشرد، لذلك فإن «أينشتين» يصيح فيه بعنف قائلا «لم أخترع القنبلة النووية ولم ألهمها لأحد. لم تكن معادلاتي.. كانت أبحاثي نظرية فقط، نظريات خالصة، أعمال فيزيائية» ثم يتخلى عن حذره واحتراسه ويلقي على مسامع «المتشرد» ما ترتب على أبحاثه واكتشافاته من نتائج أدت إلى التوصل إلى ذلك الدمار وبمجرد أن ينتهي من سرد معلوماته العلمية يعاجله المتشرد بسؤال آخر يزيد اضطرابه، وهو: ما الذي كان يمكن أن يفعله لو أنه كان بإمكانه مراجعة الأمر فيجيب: سأشتغل سباكا»!!

وكعادة «شميت» ينهي اللوحة السادسة بوضع لمساتها النهائية من خلال الإرشادات المسرحية وبطريقة سردية روائية بقوله «يدس أينشتين رأسه بين يديه.. كصدع الرياح ندرك أن هناك تفجيرًا، صياحًا، مواكب بكاء

أطفال. هل الأمر يحدث في هواء المساء أم داخل رأس الرجلين؟

لا يجب أن نعرف، وعندما يرفع «أينشتين» رأسه نراه يبكي ثم يقول: «لم أفعل شيئًا، لكني لن أسامح نفسي!

يعالج «شميت» في اللوحتين السابعة والأخيرة تداعيات ما حدث لأينشتين بعد مأساة – هيروشيما ونجازاكي – فقد قام عام ١٩٤٦ بتأسيس لجنة من العلماء النوويين كمجموعة سلمية ضد القنبلة النووية وأصبح موضع شك واتهام من العميل «أونيل» بعد أن امتلك «الروس» أيضا القنبلة النووية وقد قاموا على سبيل الاستهزاء بتفجيرها في الصحراء، ومعنى هذا من وجهة نظره أنه قد تم تسريب سر هذه القنبلة خاصة وأن المخابرات الروسية لا تتردد في إرسال نساء جميلات يقمن بإغراء الرجال المهمين ثم يجمعن الأسرار وقد تم إرسالهن إلى الدكتور «أينشتين»، ولا يملك «أونيل» أي أدلة على قوله المرسل هذا، وكل ما استطاع فعله هو وجهازه ينحصر في تشديد الرقابة عليه وعلى بريده ومكالماته ونفاياته وزواره، وعندما يرفض المتشرد كل هذه التخريجات المفتعلة ويعبر عن غضبه ورغبته في عدم الاستمرار في تلك المهمة البغيضة، لا يلقى من أونيل سوى التوبيخ والاستهزاء، ثم التهديد بإعادة فتح ملفه والتلويح بسيل من الاتهامات ثم يأمره باستئناف جمع المعلومات.

يبدو أينشتين بعد كل تلك العواصف أقل حيوية من المعتاد وعندما يأتي لمقابلة صديقه يشعر ببعض الألم في قلبه وتعلو وجهه ابتسامة غامضة عندما ينبئ «المتشرد» ساخرًا بأنه لن تكون هناك حروب في القريب العاجل

أي بعد الحرب العالمية الرابعة؛ لأن الإنسان سينقرض بفعل تأثير القنبلة H أي القنبلة الهيدروجينية، والتي بمجرد انفجارها لن يتبقى أحد لدفن الموتى؛ لأنها سوف تفني كل مظاهر الحياة، ولا يتمالك المتشرد نفسه إثر سماعه لتلك الأخبار ويصب جام غضبه على أينشتين ويخاطبه بحدة لم يجرؤ عليها من قبل، وذلك لأنه واحد من أولئك العلماء الذين أتاحوا الفرصة لتسليح الأوغاد، الأمر الذي جعلهم أكثر قدرة على قتل أكبر عدد في وقت أقل بحيث أصبحت المجازر على أيديهم خمسة نجوم!!

ومن كان يعتقد أن العلم يجسد ذروة الحضارة أصبح يدرك أن البشرية بسبب العلم قد تقدمت، ولكن في التوحش بعد أن سارت في الاتجاه الخاطئ، ويصاب المتشرد بحالة شديدة من الاضطراب ويلتقط حقيبته مقررًا الانصراف غير مصغ لمحاولة أينشتين للرد على سيل اتهاماته للعلم والعلماء والعمل على منعه من الذهاب.

المتشرد: لا، إني أخاف وأرتعش، أحس بتعرق بارد، أمعائي تؤلمني وجوفي يهتاج.. الأرض تشرف على الموت.. والأمل قد رحل ونسير نحو الانهيار. أخاف اليوم وأتشكك في الغد وأحبط عندما أصادف وغدًا واهتدي عندما أصادف عبقريا ولا أدري من سأخشى أكثر الوغد أم العبقري؟

ويندفع خارجًا ولكن لا يلبث أن يعود عندما يرى أينشتين يسقط أرضًا إثر محاولته اللحاق به تحت تأثير ما كان يشعر به من ألم، وعندما يعود أينشتين لوعيه مرة أخرى بعد لحظات يدور بينهما حوار يهدف من خلاله المؤلف إلى الإجابة عن السؤال الذي ظل يلح على ذهن المتلقي والذي

سبق أن ألقاه العميل أونيل على مسامع المتشرد والذي يتعلق بسر استمرار علاقة أينشتين بهذا الرجل كل تلك السنوات رغم ما بينهما من اختلافات ظاهرة وتحول تعارفهما العابر إلى صداقة.. إن أينشتين يفسر ذلك وفقا لظاهرة نسبية أخرى بعيدًا عن نظريته؛ لأنها ببساطة تتعلق بالبعد الإنساني لعلاقتهما فالمتشرد من وجهة نظر العالم لا يفتتن بالثروة أو السلطة أو الرفاهية فقد حبس نفسه داخل ذكرياته مكرسًا حياته لابنه الراحل فاعتزل الآخرين وابتعد عن المجتمع في حداد مثير بعيدًا عن أي مواصفات أو ضوابط اجتماعية لذلك يرى أينشتين عندما يقارن بين حاله وحال المتشرد أنه بائس خائن لأسرته، فقد كان يحلم بحب البشرية وانتهى إلى أن أصبح يحب العالم كله ولكنه لم يحب يومًا أحدًا بعينه وأصبح رأسه الذي كان مزدحمًا بالأرقام والمعادلات حافلا بأرقام مئات الآلاف وربما غدًا أو بعد غد الملايين من الضحايا وهي أرقام تفوح منها روائح الجثث المتحللة والنفايات البشرية.

واللوحة الثامنة والأخيرة هي لوحة الوداع فقد اشتد المرض على العالم وعند اكتمال القمر ينتظر المتشرد يوم الأحد متمنيا أن يفي العالم بوعده رغم أنه قد علم أنه قد أصبح حبيس مسكنه غير قادر على الحركة ويبدو المتشرد في حالة من الحزن الشديد خاصة عندما يعلمه أونيل بأن هناك حملة للتشهير بالرجل وتدعو لطرده من الولايات المتحدة، ولكنه يظن أن الأمر سيقف عند حد الاكتفاء بإغلاق ملفه، ومعنى ذلك خيبة أمله بعد أن بذل قصارى جهده في مراقبة الرجل رقابة لصيقة، وهو يعترف بأنه حتى

هذه اللحظة لم يستطع أن يفقه شيئًا عن هذا الألماني وهنا يبادره المتشرد بالتفرقة بين ثلاثتهم تنتهي بأن يكون هو نفسه - أي المتشرد - أشدهم خسارة.

المتشرد: شيء عادي، ليس في مقدورك أن تفهم شيئًا ما دمت تملك الأجوبة حتى قبل أن تطرح الأسئلة.

أونيل: وأنت لا؟

المتشرد: أنا أملك الأسئلة بلا أجوبة.

أونيل: وهو؟

المتشرد: يطرح على نفسه الأسئلة التي لم يطرحها أحد من قبله وأحيانا يجد أجوبة، وهذا ما يميز عبقريًا عن قرويين مثلنا.

أونيل: مازلت لا أستوعب شيئًا.

المتشرد: يمثل أينشتين الشخص المثالي وأنت الأيديولوجي، وأنا الواقعي.

أونيل: ومن منهم يفوز؟

المتشرد: بالتأكيد لن يكون الواقعي، ما دمت مجرد قذارة فوق ركام من السماد ومن جهة أخرى يؤكد أونيل أن أينشتين يتمتع بالحماية التي فرضتها شهرته فهو ذائع الصيت عالميا، لذلك فقد تركوه يذم الحرب ويدافع عن اليهود والسود والشيوعيين.

يظهر أينشتين للمرة الأخيرة فيكاد المتشرد أن ينهار فرحًا فها هو الرجل يفي بوعده في اللقاء به عند اكتمال القمر وكعادتهما في كل لقاء لا يخلو حوارهما من الحديث عن القمر وتأمل النجوم والسماء والطبيعة بصفة عامة وتشير كل تصرفات أينشتين إلى أنه قد أصبح يشعر بأن ساعته قد اقتربت وأنه إنما لم يأت لوداع صديقه فقط وإنما لإلقاء نظرة أخيرة على ذلك المكان الذي جمعهما.

إن رجال السلطة يسعون دائمًا إلى تمرير سياساتهم على أنها أخلاق بينما يحاول أينشتين أن يجد سياسة لأخلاقه! ويلخص شميت رؤيته للرسالة الإنسانية لأينشتين عندما يذكر ذلك الأخير في شبه اعتراف أنه قد عرف في حياته ثلاث إهانات عظيمة: المرض والشيخوخة والجهل وأنه من حسن الحظ سيأتي شيء في النهاية للقضاء عليها جميعًا وهو الموت!

ويموت العالم الفيزيائي الكبير الذي كان يحلم بيوم تتخلص فيه البشرية من العنف والخوف بعد أن يؤكد لصديقه المتشرد على حقيقة المهزلة البشرية من أننا لا نريد غير الخير ولكننا حتمًا نصنع الشر ويشفق عليه صديقه ليمنعه من الاستمرار في جلد الذات فلا يملك أينشتين إلا أن يقول: أنا تراجيديا، تراجيديا النوايا الحسنة!

قراءة نقدية:

رغم أن شميت ظل في كتابته لهذه المسرحية محافظًا على أسلوبه في الكتابة فإنه لم يكن في مسرحيتنا هذه في كامل لياقته الفنية لأكثر من

سبب، فرغم وجود تداخل وتضافر بين شذرات من التاريخ وبين غيرها من المواقف الحية المعاصرة في معالجته فإنه يبدو في أكثر من موضع حائرًا وغير قادر على بث الروح في شخصية إيجابية جادة كشخصية أينشتين، وقد تمثل ذلك في اضطراره إلى وضع أحداث صغرى اخترعها إلى جانب بعض الأحداث التاريخية، كذلك فإن هناك فجوات في النص بسبب المساحة الزمنية المتسعة التي اتخذها محورًا لرصد الأحداث التي تشكل الخلفية التاريخية والتي تبدأ منذ اللوحة الأولى سنة ١٩٣٤ حتى موت أينشتين عام ١٩٥٥ فقد ترك شميت للمتلقي أمر تصور مدى تطور العلاقة بين أينشتين وذلك المتشرد الذي التقى به مصادفة، والذي أجاد تجسيده في اللوحة الأولى، ولكنه يبدأ اللوحة الثانية بعد مرور خمس سنوات أو أكثر على ذلك اللقاء وعلى المتلقي أن يفترض أن عرى صداقة قوية قد توثقت بين الرجلين طوال تلك المدة لأن المؤلف لم يحاول عن طريق الإشارة أو التقرير المباشر أو السرد المستند إلى الذاكرة أو أي وسيلة أخرى يسد بها هذه الفجوة الزمنية.

ويشير إبراهيم حمادة في شروحه لما ورد بكتاب «فن الشعر» لأرسطو إلى اعتبار أن كل مسرحية تبدو من حيث الفكر نوعًا من التناقش والمناظرة تعتبر فيها المواقف والانفعالات والتأملات والأقوال والأفعال وغيرها موادً للبرهنة والإثبات، وذلك لأن الشاعر المسرحي يعتمد على الكلمات في المقام الأول باعتبارها وسيلة أساسية لبناء عمله الفني إذ يتخيرها ويرتبها بشكل خاص مترابط وبطريقة تجعلها صالحة؛ لحمل المعنى ويشير إلى أن هناك ثلاث مؤسسات رئيسية تسهم في صياغة ذلك وهي الفكر المراد

التعبير عنه، وطبيعة الشخصية التي تستخدم اللغة، والتأثير المتوقع الذي تحدثه الكلمات، ولا شك في أن الفكر يتمثل هنا في كل ما تقوله الشخصيات وما تفعله، كما أنها تتأثر بأقوال وأفعال الشخصيات الأخرى، فإذا كان يمكن اعتبار تأملات الشخصيات المسرحية نتعاطف معها ممثلة لفكر المسرحية الإيجابي، فإن أقوال وأفعال الشخصيات الأخرى (الخصيمة) التي لا نتعاطف معها تمثل ما يمكن أن نسميه بالفكر السلبي أو المناقض الذي يعد عاملا مساعدًا في بناء وتصميم الفكر العام في المسرحية.

ويلاحظ قارئ المسرحية أن هناك مجالا لمط مساحات الحوار الذي يؤدي إلى خلق درجة أقلّ من التوتر كبديل عن الحركة، وربما يرجع ذلك إلى مخاطر الحوار الثنائي الذي يسيطر على مشاهد المسرحية مما يؤدي في بعض المواضع إلى حدوث نوع من الرتابة والوسيلة الأساسية لتجنب ذلك لا تتحقق بوجود ممثل ثالث أو رابع فقط وإنما تتحقق بجعل الحوار بعيدًا كل البعد عن الحديث العادي أو الحديث المسطح الذي ينتجه شخصان تقابلا في الشارع بعد أن تعرف أحدهما على الآخر منذ فترة قصيرة.

وتحت تأثير شكل المحاكمة أو التحقيق أو التحرى أو توجيه الاتهام والدفاع أو غيرها من الوسائل التي لجأت إليها معظم المسرحيات الوثائقية تحول الحوار بين أينشتين المتشرد من جانب، وبين المتشرد وأونيل من جانب آخر إلى نوع من الاستجواب الذي يأخذ شكل (س- ج) سؤال وجواب، كما في محاضر الشرطة باستثناء بعض اللمحات الجمالية والتعبيرية والتفاعلية عندما يتطرق الحوار بين الشخصيتين الرئيسيتين

لبعض الجوانب الإنسانية في علاقتهما وخاصة في اللوحتين الأخيرتين، أو عندما يعبران عن حبهما المشترك للطبيعة، وعندما يصبح الحوار مجرد وسيلة لنفق المعلومات يفقد الكثير من خصائصه الدرامية ويجعل المتلقي الخبير بأعمال شميث أو الذي قرأ له عملين أو أكثر يشعر بالحنين إلى حواره الذكي اللماح المتدفق في عبارات قصيرة بليغة.

وينبغي أن نضع في اعتبارنا أن هناك علاقة وثيقة بين الطريقة التي نستخدم بها الحوار والسياق الذي نستخدمه فيه ونوع الشخصيات التي تتبادله وهذا يذكرنا بما أشار إليه الناقد الكندي «نور ثروب فراي» الذي يشير إلى أربعة مستويات في البحث عن صلة أو نظرة الجمهور إلى الشخوص سواء في الرواية أو المسرحية على النحو التالي: إذا نظر أفراد الجمهور إلى الشخوص على اعتبارهم أرفع شأنًا منهم على نحو غير محدود بصفتهم آلهة فنحن في منطقة الأسطورة، أما إذا نظرنا إليهم بوصفهم بشرًا يتفوقون عليهم فنحن في المجال البطولي، وإذا كانوا ينظرون إليهم على أنهم في المستوى نفسه كأنفسهم فنحن في نطاق الأسلوب الواقعي، أما إذا نظروا إليهم من شاهق باعتبارهم موضع سخرية فهذا يعني المفارقة في مختلف أنماطها.

ويبدو أن شميث كان مترددًا بين اليومي العادي والمثالي أو البطولي، بين التاريخ والواقع، بين الخيالي والحقيقي في تصويره للشخصيتين فأحدهما عالم مرموق يعرفه العالم والآخر متشرد مجهول لا يعرفه أحد، ولا شك أن هذا التصور كان له تأثيره السلبي أحيانا على طبيعة الموضوعات التي

يتبادلان فيها الحوار خاصة عندما يكون الحديث عن أمر من أمور العلم.

والحديث عن الخيانة في المسرحية يظهر في أكثر من موضع فأونيل يتهم أينشتين بالخيانة لاعتقاده أنه قد يكون هو من سرب المعلومات للروس عن صناعة القنبلة وأينشتين يتهم نفسه بالخيانة مرتين الأولى عندما تخلى عن دعوته السلمية القائمة على كراهة ونبذ الحروب وتشجيعه لتجنيد وتسليح شباب الدول المهددة من النازي من أجل مقاومته ودحره، والثانية عندما يؤكد للمتشرد الذي يراه رجلا مثاليًا رائعًا أن العالم العظيم الماثل أمامه يخفي أبًا صغيرًا وزوجًا ضئيلا جدًا فقد خان أسرته الصغيرة، طفلان مريضان جينيا الأولى ماتت والثاني في مصحة عقلية، أما ابنه الثالث فيدعى «هانز ألبرت» وهو شاب لامع يعمل مهندسًا هيدروليكيًا بجامعة بركلي والذي نادرًا ما يزوره، وأخيرًا يبعد عن نفسه هاجس الشك في إمكانية خيانة المتشرد له عندما يخاطبه في شبه اعتذار ويخبره بأنه كان يشك بأن عملاء من الـ FBI ربما يكونون قد أزعجوه أحيانًا ويطلب منه أن يسامحه، لما قد يكون قد أصابه من ضرر بسببه خاصة أنه يعتقد أن المتشرد يملك قلبًا طيبًا ولا يمكنه الخيانة.

الخيانة الفكرية في قضية «روبرت أو بنهايمر»

أشرنا في المقدمة إلى ضرورة المقارنة بين مسرحيتي «خيانة أينشتين» ومسرحية «قضية روبرت أوبنهايمر» التي كتبها «هانير كيبهارت» (١٩٢٢ – ١٩٨٢) عام ١٩٦٤ لبيان ما بينهما من تقارب أو تعارض في أساليب المعالجة لتعرضهما لنفس الموضوع المتعلق بالولاء أو الخيانة وبالمسؤولية

الأخلاقية لرجل العلم، خصوصا أن «كيهارت» قد اختار أن يعالج موضوعه داخل إطار المسرح الوثائقي والمصدر الأساسي لأحداث هذه المسرحية استقاه المؤلف من ملفات لجنة الأمن القومي التي شكلتها «لجنة الطاقة الذرية» للتحقيق مع العالم «جوليوس روبرت أوبنهايمر» (١٩٠٤ - ١٩٦٧) عالم الذرة الشهير والتي بدأت في ١٢ أبريل سنة ١٩٥٤ وانتهت في ٥ مايو من العام نفسه وقد انحصر هدف «كيبهارت» من المعالجة الدرامية لهذه الأحداث في تقديم صورة مصغرة لوقائع التحقيق استنادًا إلى الوثائق المتاحة والحرية التى يتمتع بها أي كاتب في هذا الصدد تتمثل في اختيار المادة وإعادة ترتيبها وتشكيلها.

ويبين لنا المؤلف أنه قد اكتفى بنقل المعنى في بعض المواضع، النقل الحرفي من الوثيقة في مواضع أخرى، أما التغيرات التي أجراها فقد تمثلت في تقليل عدد الشهود والمحامين والتركيز على بعض الوقائع ومحاولة خلق نوع من التوتر الدرامي بتركيزه في بعض المشاهد على الصراع بين سلطة الدولة وحرية الفرد الشخصية كما أن بعض الأسئلة التي أجاب عنها العالم في التحقيق بنعم أو لا، خاصة تلك التي تتعرض لبعض جوانب من حياته الشخصية فقد تحولت في الصياغة إلى التأكيد على رفض ذلك التدخل في مثل هذه الأمور، ولم يكتف «كيبهارت» بالوقائع والأحداث السياسية وإنما أراد تعميق أبعادهما عن طريق استخدام أساليب العرض وإضافة نصوص عن تأثير القوة التدميرية لانفجار القنبلة ورصد ردود أفعال الصحافة كرجع صدى في مواجهة ذلك الاستجواب، خاصة وأن «أوبنهايمر» رغم مشاركته

الفعالة في صناعة القنبلتين الأميركيتين اللتين ألقيتا على «هيروشيما وناجازاكي» قد تعرض للهجوم وأصبح موضع اتهام وشك بأنه قد تعمد تعطيل برنامج صناعة «القنبلة الهيدروجينية» لمدة ١٨ شهرًا هو ونفر من العلماء من ناحية إلى جانب اتهامه بتسريب أسرار الذرة إلى الاتحاد السوفييتي من ناحية أخرى، وذلك تحت تأثير تلميحات «السيناتور الأميركي ماكارثي» في حملته على الشيوعيين الظاهرين منهم والخفيين، وإن صح ذلك فهذه هي الخيانة بعينها.

وقد تعرض «برتولت برشت» (١٨٨٦ - ١٩٥٦) الذي استقر به المقام في كاليفورنيا بأميركا سنة ١٩٤١ بعد سلسلة من الانتقالات هربا من الغزو الهتلري عندما أثارت كتاباته ومجالسه شكوك اليمينين المتطرفين في أجهزة الحكم فصدر أمر قضائي سنة ١٩٤٧ يدعوه إلى المثول أمام اللجنة الخاصة بالنشاط المعادي لأميركا ويشير إبراهيم حمادة في كتابة آفاق في المسرح العالمي إلى أن «إجاباته المتسمة بالمراوغة والاستعباط المتعمد كانت تقابلها من جانب المحققين أسئلة ساذجة صادرة عن عقليات محدودة متحيرة في استكشاف ذهنية مثقفة لكاتب عالمي مثل برشت مما يدل على عبطية أعضاء الاستجواب، وكانت كل الأسئلة تدور حول نشاطه الأدبي والفني وتأثير أفكار ماركس على كتاباته، وفي النهاية برأته اللجنة من تهمة الخيانة أو التعامل مع الشيوعيين.

لقد انتقى «كيبهارت» مادته من بين ثلاثة آلاف صفحة تضمنتها ملفات محاضر جلسات الاستماع واكتفي بأقوال ستة شهود فقط من أربعين وبوجود

محاميين فقط لا ثلاثة، وبينما يؤكد المؤلف أن مسرحيته عمل فني، وأن نصها أدبي الطابع وليس مجرد وثيقة «إنها مسرحية وليست مونتاجًا لمادة موثقة»، فإن الناقد الألماني «كايزر» يرى أن «هاينر كيبهارت» نقل حوار مسرحيته نقلا حرفيًا من ملف القضية، وأن المسرحية تخلو من أي توتر درامي أو تشويق فني، لذا فإنها لا تضيف للمتلقي أي جديد، بل ويمعن في التأكيد على أن المسرح التسجيلي ليس بمسرح على الإطلاق فهو لا يزيد عن كونه «ريبورتاجًا صحافيًا أو نوعًا من المذكرات».

وفي المسرحية يدافع «أوبنهايمر» عن نفسه كواحد من علماء الطبيعة الذرية ويبرر عدم اعتراضه على إلقاء القنبلة الذرية على «هيروشيما وناجازاكي» بأن الطاقة الذرية ليست هي القنبلة الذرية، وأن الإنسان قد استخدم الاكتشافات الجديدة في ميدان العلوم الطبيعية استخدامًا سيئًا وأنه هو وزملاؤه قد صنعوا القنبلة لمنع استخدامها، أي لمنع هتلر من استخدامها ثم اكتشف الجميع أنه لم يكن عند الألمان أي مشروع لصنع القنبلة وأن سلطة اتخاذ القرار بإلقاء القنبلة لم تكن من شأن العلماء ولكن من شأن رجال السلطة والعسكريين فقد تحول العلم إلى مجرد تابع للمؤسسة العسكرية، ولكن العلماء يقدمون من واقع خبرتهم طريقة استخدامها على النحو الذي يمكن من الحصول على أفضل تأثير، وأنه قد شعر بمسؤولية أخلاقية رهيبة عندما عرف مدى ما أحدثته من خراب ودمار وخسائر مادية وخسائر في الأرواح ٧٠٠٠٠ قتيل.

وردًا على اتهامه بالتسبب في تعطيل أو الاعتراض على صنع القنبلة

الهيدروجينية يقول العالم إن ذلك الاتهام باطل «منذ بدأنا نخشى احتكار طرف ما للقنبلة الهيدروجينية، منذ جلست القوتان العظميان جلسة التربص إحداهما تجاه الأخرى مثل عقربين في زجاجة، منذ ذلك الوقت ظهر في أميركا أناس يلقون بالذنب على من يسمونهم بالخونة».

ويشير الشاهد «لانزديل» ضابط المخابرات السابق إلى أن إدارة المباحث الاتحادية كانت قد أمرت بإبعاد الدكتور أوبنهايمر عن المشروع وأمرت بمراقبته وقد تم ذلك عن طريق متابعة تحركاته وفتح خطاباته والتصنت على مكالماته التلفونية ونصب بعض الفخاخ له مع استخدامها أقذر الوسائل المتعارف عليها في هذه المهنة.

ويفتتح المؤلف الجزء الثاني من المسرحية بعد أن استغل معظم مشاهد ومواقف المناظر الستة المكونة للجزء الأول في الاستجواب وسماع الشهود وسماع أدلة الاتهام وأقوال الدفاع وذلك بالإضافة إلى استخدام الشاشات لعرض بعض الأفلام التسجيلية بين الحين والآخر أو استغلال الستارة للإعلان عن جزء من استجواب اليوم الثاني تحت عنوان «مذنب من خلال العلاقات مع البعض» ثم في المنظر الثالث يكون السؤال المطروح والمكتوب على الستارة هو: هل يمكن التوفيق بين التعاطف السابق مع الشيوعيين، وبين الأعمال الحربية السرية، وهل يمكن الوثوق في شهادة المحترفين؟ والنص المعروض على الشاشة في المشهد الرابع هو: أين ينتهي حد إخلاص الإنسان لأخيه الإنسان وإخلاصه للدولة؟ وهل يجوز ملاحقة شخص ما بسبب أفكاره؟ أما المنظر السادس فيتصدره النص

التالي: في جلسة استجواب اليوم العاشر: ما هو الولاء المطلق؟ وهل يوجد أمن بدرجة ١٠٠٪، وما هو ثمن ذلك؟

هذه التساؤلات يتم الإجابة عنها أثناء الاستجواب، وإلى جانب الوسائل السابقة هناك التسجيلات التي تتم إذاعتها لتأكيد معلومة أو واقعة بالإضافة إلى بعض الصور الفوتوغرافية.

ويبدأ الجزء الثاني بعرض الوثائق الفيلمية ترافقها بعض النصوص الصوتية وذلك العرض التفجيري التجريبي سنة ١٩٥٢ لأول «قنبلة هيدروجينية» أميركية في المحيط الهادي وخطاب الرئيس الأميركي «ترومان» وتصفيق الحشود الكبيرة من الناس ابتهاجًا بهذه المناسبة، وكذلك التفجير الاختباري الأول لمثيلتها الروسية ورئيس الوزراء «مالينكوف» وهو يلقي خطابًا.. ثم مشاهد لسرب من القاذفات الأميركية، ولسرب من القاذفات السوفييتية.

ويعرض «المحامي» «روب» الموكل من لجنة الطاقة الذرية للأسباب التي دعت أوبنهايمر يقاوم صنع هذه القنبلة بقوة، ويؤكد «رولاند» مساعد روب لشؤون الأمن على الحقيقة المتمثلة في أن القوة التدميرية لهذا السلاح هائلة وبلا حدود وتجعل من وجودها خطرًا يهدد البشرية كلها ويعتقد أوبنهايمر بأنه من الحكمة التوصل إلى إعلان عالمي بالتخلي عن صنع هذا السلاح الرهيب، لأنه بعد الحرب العالمية التالية التي تستخدم فيها هذه القنبلة لن يوجد غالب أو مغلوب ولكن سيكون هناك من تعرضوا للتدمير بنسبة ٩٨٪ أو ١٠٠٪.

وبعد ثلاثة أسابيع ونصف هي عمر الاستجواب يصل بنا كيبهارت في المشهد الثامن إلى مرافعات محامي لجنة الطاقة الذرية (روب) ومرافعات محامي أوبنهايمر (ماركس) تمهيدًا للحكم بعد المداولة.

وينهي «روب» هجومه على العالم الكبير بأنه يرى عن اقتناع وبالاستناد إلى أكثر من دليل أنه ظل مخلصًا للأفكار الشيوعية، وأنه كان موزعًا بين ولائه لهذه الأفكار وولائه لمصالح الولايات المتحدة وذلك هو ما أدى إلى موقفه المتناقض الذي لا تفسير له سوى الخيانة.. خيانة من نوع خاص لم يتعرض لها المشرعون «الخيانة الفكرية».

ويؤكد «روب» في النهاية أن «أوبنهايمر» لا ينبغي أن يحصل على شهادة الثقة الأمنية استنادًا إلى ما ذكره من حقائق، وقد حرص محاميه على تفنيد كل الحجج التى ساقها «روب» ثم يصدر أخيرًا حكم اللجنة وحيثياته وقد جاء منطوق حكم الأغلبية بأن الدكتور أوبنهايمر لم يعد له الحق في أن ينال بلا قيد أو شرط ثقة الحكومة الأميركية ولجنة الطاقة الذرية... حيث إن الدليل قام على أن شخصيته تعتورها نقائص جوهرية ويشير ذلك الحكم إلى أن الوساوس الأخلاقية الشديدة هي التي أدت إلى موقفه السلبي من القنبلة وأن ذلك الموقف قد أثر سلبًا على عدد آخر من العلماء، ورغم ثقة اللجنة في أنه قد قدم مشورته على خير ما يعلم وبكل إخلاص في النية، فإن جهوده التي بذلها للحيلولة دون صنع القنبلة عن طريق دعوته لعقد اتفاقية عالمية ومطالبته بضمان عدم البدء مطلقًا في استخدام هذا السلاح تدل على نقص مؤسف في الثقة في حكومة الولايات المتحدة.

ويتمثل رأي الأقلية في قناعة «إيفانز» بأن أوبنهايمر مخلص إخلاصًا تامًا للوطن ولا توجد أي مخاطرة أمنية تبرر عدم منحه شهادة الثقة الأمنية.

ويقوم «أوبنهايمر» باستئناف الحكم بعد أن يدافع عن نفسه وعن موقفه وردًا على اتهامه بالخيانة الفكرية يطرح سؤالا نصه: هل لم نقم بخيانة روح العلم عندما تركنا أمر أبحاثنا العلمية للمؤسسة العسكرية من دون النظر إلى النتائج المترتبة على ذلك؟ ويشير إلى أنه عندما يسترجع أحداث حياته إلى أنه قد وجد أن أفعاله التي ترى اللجنة إدانته بسببها هي أقرب إلى روح العلم من إنجازاته التي حصل على الثناء بسببها، وأنه قد قضى أفضل سنوات عمره يبحث عن أكمل الوسائل للتدمير وأنه وزملاءه قد قاموا بعمل العسكريين، لذلك فإنه يحس من صميم قلبه أن ذلك كان خطأ وأنه لن يشترك بعد ذلك في المشروعات الحربية بغض النظر عن نتيجة الاستئناف «لقد قمنا حتى الآن بأعمال الشيطان ونعود الآن إلى أداء واجباتنا الحقيقية».

ويظهر على الشاشة النص التالي «سلم الرئيس جونسون الدكتور أوبنهايمر جائزة» إنريكو - فيرمي في ١٩٦٣/١٢/٢ تقديرًا له على فضله الكبير على برنامج الطاقة الذرية في سنوات حرجة ويسدل الستار!

إن الذي كان يقف أمام لجنة التحقيق لم يكن «أوبنهايمر»، ولكن النظام الأمني، وإن إدانته تعني إدانة ذلك النظام وإعلان خضوع العالم للعسكريين وبالتالي لن يوجد من يجرؤ على قول الحقيقة. ذلك ما أكده محامي أوبنهايمر.

كان «جوليوس روبرت أوبنهايمر» على قيد الحياة عندما انتهى «كيبهارت» من كتابة مسرحيته، وقد أرسل أوبنهايمر إلى الكاتب وإلى المسارح التي كانت تتأهب لعرض العمل خطابات احتجاجات نشرت بجريدة «دي فيلت» الألمانية في نوفمبر سنة ١٩٦٤ وهو يرى في احتجاجه أن جلسات الاستماع التي عقدتها لجنة الطاقة الذرية معه أيام السناتور مكارثي كانت ملهاة، وأن البعض يريدون أن يجعلوا منه مأساة اعتراض على قيام «كيبهارت» بتغيير أقوال البعض وبارتجال أشياء لم تحدث وأنكر أنه لم تتح له فرصة التعليق في نهاية الجلسات، كما أنكر ما قيل عن ندمه على اشتراكه في صناعة القنبلة الذرية، وقد رد عليها «كيبهارت» بمقال نشر بالجريدة نفسها في اليوم التالي وقد ترجمه د. مصطفى ماهر ضمن المقدمة التي قدم فيها النص المنشور في سلسلة من المسرح العالمي العدد ٢٤٥، نوفمبر سنة ١٩٩١ والذي ترجمه د. عبدالسلام إسماعيل.

يقول «كيبهارت» «إنني أفهم الحرج الذي تحس به الشخصية التاريخية عندما ترى نفسها ممثلة على المسرح وأستطيع أن أشعر بما تشعر به، والحق أنه من الصعب على الإنسان الذي شارك في الأحداث التاريخية أن ينأى بذاته عن تلافيف مئات من التفصيلات المتداخلة في الواقع ليكتسب البعد الموضوعي الذي لا بد منه؛ لتخليص صميم الواقعة التاريخية ومضمونها من المصادفات التي تلتف حواليها بهدف عرضها على الجمهور المعاصر كمثال له أهميته، ويسمى «كيبهارت» هذه العملية «عملية تحوير».

ويقول في موضع آخر لقد ألزمت نفسي في عملي بأن أستمد كل الوقائع

التي جاءت في مسرحيتي من الواقع التاريخي واقتصرت حرياتي على الاختيار والترتيب والصياغة وتركيز المادة، ولما كنت أسعى إلى بلوغ قالب قوامه الوثيقة المعاصرة الرصينة والمستفيضة وهو قالب لاح لي أثيرًا إلى المسرح فقد وجدت من الضرورة بمكان أن أضيف بعض الاستكمالات والتعميقات».

ويعتبر هذا الرد وثيقة دفاع عن المسرح الوثائقي وعن قناعة «هاينر كيبهارت» بالوسائل التي استخدمها لإظهار الحقيقة وهي مسرحية جديرة بالقراءة.

عندما كتب «كيبهارت» هذه المسرحية كان إريك - إيمانول شميث في الرابعة من عمره، تُرى هل قرأ هذه المسرحية وتأثر بها؟ وإذا كان «ألبرت أينشتين» على قيد الحياة وقرأ ما كتبه عنه «شميت» فهل تستطيع أيها القارئ الكريم أن تخمن حقيقة انطباعه ورد فعله؟!

نقطة ومن أول السطر دعنا نقلب هذه الصفحات مرة أخرى، وعلينا أن نقرأ هاتين المسرحيتين لنكتشف بأنفسنا أوجه التشابه وأوجه الاختلاف بينهما.

أ. د. محمد شيحة

بينغو

الشرانق

موت بطل

الخروج

تأليف: عدالت آغا أوغلو

ترجمة وتقديم: أ. صفوان الشلبي

مراجعة ودراسة نقدية: أ. د. محمد حقي صوتشين

المسرح العالمي

في هذا العدد

خيانة أينشتين

ما بين ١٩٣٤و ١٩٣٩ و ١٩٤٥، وعلى ضفاف بحيرة في ولاية نيو جيرسي، سيلتقي ألبرت أينشتين بمتشرد، فينخرطان في محاورة حميمة من النقاش وتبادل الآراء بين رجل حكيم ورجل بلا مأوى.

في ١٩٣٩ سيوجه أينشتين رسالته الشهيرة إلى روزفلت يبلغه فيها أن النازيين يسعون إلى امتلاك السلاح النووي انطلاقا من اكتشافاته العلمية. حينها سيطلق روزفلت «مشروع مانهاتن» الذي أدى إلى اختراع القنبلة التي ستدمر فيما بعد مدينتي هيروشيما وناكازاكي.

هذه الحادثة التراجيدية ستعذب أينشتين المسالم والداعي إلى نزع السلاح وتفادي كوارث نووية قد تؤدي إلى هلاك الحياة وانقراض الكائنات. وعلى إثر ذلك سيصبح أينشتين متهما بلعب دور أساسي في الصراع حول التسلح آنذاك بين الولايات المتحدة وألمانيا وروسيا، اللتان تسعيان لامتلاك قنبلتهما النووية. ونظرا إلى مواقفه الرافضة للتسلح ستعتبر أميركا أينشتين طوباويا خطيرا وربما خائنا لهذا ستخضعه لمراقبة دقيقة من طرف مكتب التحقيقات الفيدرالي من دون أن تجرؤ على طرده. سيعتبر أينشتين نفسه مسؤولا عما حدث في اليابان وما قد يحدث في أمكنة أخرى من العالم، لهذا سيدعو بشراسة إلى سلام عالمي.

مسرحية «خيانة أينشتين» للكاتب الشهير إريك إيمانويل شميث ليست كتابا عن العلم وإنما هو ببساطة كتاب عن إنسان أحدث ثورة في القرن العشرين بنظريته الفيزيائية ذات المعادلة الشهيرة $E = MC2$ ومسرحية تعبر عن شكوكه من مستقبل العلم ومخاوفه من دمار العالم وإنسانيته المترعة بالتفاؤل والسلام. سنكتشف ذلك من خلال حوار بين ألبرت أينشتين و متشرد يتحدثان عن المطر والطقس الجيد يعالجان أيضا قضايا أعمق بكثير مثل كيفية مجيء هتلر إلى السلطة (في الواقع نحن في عشية الحرب العالمية الثانية) يعبر أينشتين عن شعوره بالقلق حول مصير أوروبا، يتحدث أيضا عن اضطراره إلى الهجرة إلى برينستون بالولايات المتحدة، يتحدث أيضا عن مخاوفه من مكتب التحقيقات الفيدرالي الذي يشتبه في كونه جاسوسا يعمل لمصلحة ألمانيا. والأهم من ذلك تساؤله الدائم: هل يجب أن يقدم القنبلة النووية إلى الرئيس روزفلت؟

ثم موضوعات أخرى مازلنا نعيشها إلى يومنا مثل العنصرية و التمييز والوحشية البشرية التي نراها اليوم في مناطق عدة من العالم حروبا ومذابح وصراعات مأساوية.

إصدارات المجلس متوافرة إلكترونيا على موقعنا:
https://WWW.nccal.gov.Kw/publications
ISBN ٩٧٨-٩٩٩٠٦-٠-٥٤٨-٨
رقم الإيداع: ٢٠١٧/٠٣٤٦